النظرة الغائية للعالم بين الدين والميتافيزيقا
قراءة في مفهوم العالم في الفكر الوجودي
من خلال نماذج ممثلة

بحث مقدم

د. جوزفين رزق الله فرج
مدرس مساعد_ بقسم الفلسفة
كلية الآداب _جامعة بورسعيد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المقدمة

علي الرغم من أن مفهوم "العالم" من المفاهيم الشائعة، إلا أنه بمزيد من التأمل في هذا المفهوم نري أنه يحمل العديد من التساؤلات مثل:السؤال عن ماهية العالم، وأصله، كيف نشأ؟ وهل هو أبدي؟ أم أن مصيره الفناء؟وماذا بعد فنائه؟هل سيوجد من جديد؟

إن الإجابة عن هذه التساؤلات كانت مثار اهتمام الفلاسفة والعلماء في مختلف العصور، ولما كان مفهوم"العالم" يتضمن باستمرار وجهة نظر الشخص الذي يتحدث عنه، فقد اختلفت الإجابات تبعاً لاختلاف طريقة التفكير، ومدي النضج العقلي لكل عصر من هذه العصور، الأمر الذي جعل هناك أكثر من وجهة نظر في دراسة هذا المفهوم:

أولاً: وجهة النظر العلمية:

وهي التي تنظر إليه باعتباره يمثل البيئة المحيطة بنا، وما فيها من ظواهر مختلفة، ودور العلم هنا هو تحليل هذا العالم إلي مجموعة من الظواهر والبحث عن أسبابها، بل والتساؤل عن كيفية التحكم فيها.

ثانياً: وجهة النظر الدينية:

وهي تنظر إليه باعتباره مجالاً للقدرة الإلهية، فتبحث عن أصوله، ولكنها في الغالب تحاول رد كل ما في العالم من ظواهر إلي علة واحدة هي المتحكمة فيه، إنها ترده إلي إله خالق خلق العالم بعد أن لم يكن. علي الرغم من اختلاف الأديان إلا أن الفكرة واحدة .

ثالثاً: وجهة النظر الفلسفية:

وربما تكون الأعم و الأشمل؛ فهي الدراسة المتعمقة التي لا تكتفي بالعلل والأسباب الظاهرة، بل هدفها الوصول إلي العلل الأولي.

وقد اهتم الفكر الوجودي بمفهوم العالم من زاوية ارتباطه بالإنسان والتفاعل بينهما، وكيف يؤثر كل منهما في الآخر، وقد لخص "سارتر" هذه الفكرة في كتابه "الوجود والعدم" بقوله: "بدون العالم لا وجود للشخص أو الذات الإنسانية، وبدون الذات الإنسانية لا وجود للعالم ".

وهذا البحث هو محاولة لقراءة في مفهوم " العالم" في الفكر الوجودي، لنر كيف لعبت الخلفية الدينية للوجودية الدينية دوراً في اختلاف رؤية العالم لدي أتباع الوجودية اللادينية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسوف ينقسم هذا البحث إلي ثلاثة أقسام :نعرض في القسم الأول المصطلحات الأساسية للبحث، ثم نحاول تتبع هذه الفكرة عبر مراحل الفكر الفلسفي، وفي القسم الثالث سنعرض لرؤية العالم لدي أتباع الوجودية الدينية واللادينية.

القسم الأول: مفاهيم أساسية

ربما كان "سقراط" علي حق عندما أيقن أن الخطوة الأولي في البحث الفلسفي هي إيضاح المفاهيم ومعرفة الدلالات الحقيقية لها، ومن هذه النقطة يبدأ هذا البحث بمحاولة لتوضيح المصطلحات الأساسية له.

أولاً: العالم و الكون والوجود (Cosmos-_world -Universe):

مصطلحات ثلاثة إذا قرأتها يُخيل إليك أنها تحمل المعني نفسه، ولكن بالرجوع إلي المعاجم والقواميس نجد أن هناك اختلافات بينها:

نري أن كلمة "**العالم world**" **في اللغة العربية** تشير بوجه عام إلي "مجموع الأجسام الطبيعية كلها من أرض وسماء و ما فيها من كائنات، ويطلق أيضاً علي جملة الكائنات المتجانسة مثل "عالم النبات"، "عالم الحيوان"، وقد يقال "عالم الحس "علي مجموعة الأشياء التي يمكن أن تدركها الحواس، وفي مقابلها يقال "العالم العقلي" ليشير إلي كل ما يتصل بالذهن والتفكير[١].

ويتفق هذا المعني مع ما جاء في القواميس والمعاجم الاجنبية، إذ يدل هذا اللفظ علي "مجموع بيئتنا منظوراً إليه باعتباره موضوعاً للتجربة، ومن جانب آخر يقال علي "كل موحد نسبيا" كقولنا "عالم الطبيعة"، "عالم الموسيقي"، "عالم الأحلام".ويمكن أن نضيف بعض التصنيفات لهذا المفهوم كقولنا "العالم الآخر": في إشارة إلي العالم الذي تعيش فيه الأرواح بعد الموت، و"العالم العقلي": للدلالة علي عالم الماهيات والمثل، و"العالم المحسوس" الذي هو موضوع للإدراك الحسي والتجربة[٢].

ومن جانب آخر يكشف لنا الأصل اللغوي لهذه الكلمة الارتباط بين العالم والوجود الإنساني، حيث نجد أن كلمة"World" تتكون من مقطعين "Weor" التي تعني"الإنسان"، والمقطع الثاني "Old"ويعني عصراً أو عهداً، ليكون معني الكلمة ككل هو عصر الإنسان

---

(1) المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية، مادة"عالم" الهيئة العامة للشئون الأميرية، القاهرة ١٩٨٣، ص١١٦.
(2) هنتر ميد:الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة :فؤاد زكريا، دار مصر للطباعة، ط٣، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٤٣٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أو عهد الإنسان.وكان أول من استخدم هذه الكلمة هم الأنجلو سكسونيين ليدلوا بها علي حياة الإنسان علي الأرض في مقابل الحياة في العالم الآخر سواء كان السماء أو الجحيم[١].

أما في اللغات الأجنبية فهناك أكثر من كلمة تشير إلي المعنى نفسه كما يلي:

1. Cosmos

التي ترادف كلمة "Kosmos" اليونانية، ويقصد بها "الجمال والنظام الذي لا يوجد له نظير"، وكان أول من استخدم الكلمة بهذا المعني هو "فيثاغورث" في إشارة إلي الشيء المحيط بالكل، وقد استخدم "ابن سينا" اللفظ نفسه في رسالته الحدود ليشير من خلالها إلي أن العالم هو "مجموع الأجسام الطبيعة البسيطة كلها"[٢].

ومنه تظهر كلمة "cosmology"ويقصد بها علم الكون، وهو العلم الذي يهتم بدراسة القوانين العامة للعالم وتكوينه الكلي سواء من الناحية التجريبية أو من الناحية الفلسفية والميتافيزيقية، وقد وجد عند "كانط" ما يسمي: " الكوزمولوجيا العقلانية "والتي أطلقها علي مجمل المسائل المتعلقة بأصل العالم وطبيعته[٣].

2. Universe

يستخدم "لالاند" في موسوعته الفلسفية هذا اللفظ ليرادف به كلمة "العالم" أو "الكون"، ويعرفها علي أنها "جملة ما هو موجود في الزمان والمكان"، أو أنها" كل سلسلة وكل تجمع للأشياء الموجودة".

وبهذا المعني لا يمكن أن يوجد أكثر من عالم في زمان ومكان، بل عالم واحد أو كون واحد تندرج تحته كل التنظيمات والسلاسل[٤].

---

(1)Julia Creswell: The Oxford Dictionary of Word Origin, Art:" world", Oxford University Press,P,2009.

وأيضاً جون ماكوري: " الوجودية" ترجمة :إمام عبد الفتاح، مراجعة :فؤاد زكريا، دار الثقافة للطبع والنشر، القاهرة ١٩٨٦، ص١١٢.

(2) مراد وهبة: المعجم الفلسفي، مادة "العالم"، دار قباء للطبع والنشر، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٩٩٨، ص٤٣٨.

(3) اندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة:خليل احمد خليل، مادة"كون، علم الكون"، منشورات عويبدات، ج١، ط٢، بيروت، ٢٠٠١.، ص٢٣٤.

(4) اندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، مادة "عالم أو كون"، ج٣، ص١٥٠٠

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذن فالعالم الذي نقصده هنا هو العالم بمعناه الشامل أو العالم بمعناه الواسع الذي يشمل كل الموجودات الطبيعية وعلي رأسها الإنسان.

ثانياً: الغائية (Teleology) :

الغاية بشكل عام هي:"ما لأجله وجود الشيء"، وتطلق علي الحد النهائي الذي يقف عنده العقل، وقد تطلق علي الغرض وتسمي "علة غائية" وهي ما لأجله كان إقدام الفاعل علي الفعل، وهي أساسية لكل فاعل يفعل بالقصد والاختيار[١].

أما **الغائية الفلسفية** Philosophical Teleology: فهي تبحث في الغايات النهائية للعالم ككل وللموجودات كأفراد، وتقوم هذه الفلسفة علي أساس القول بأن الكون أو بعض أجزائه علي الأقل يتجه نحو تحقيق غاية معلومة [٢].

ومن الجدير بالذكر أن مصطلح "Teleology " مصطلح حديث نسبياً ابتكره "فولف[*]" في القرن الثامن عشر، إلا أن معاني المصطلح قديمة ومتوغلة في أعماق الفكر الفلسفي نكتشف آثارها في محاورة "فيدون" لأفلاطون حينما يصرح بأن "غاية الكون هي الخير"، وأيضاً أرسطو حينما يصرح بأن الغائية هي حال كل ما يجري في الطبيعة، فلا شيء يحدث عبثاً، وليست الصدفة هي التي تتحكم في أحداث الطبيعة، ولكن من الضروري وجود غاية للكون، والعالم كله يتحرك بعشقه للمحرك الأول.

أما في العصور الوسطي فقد احتل مفهوم الغائية مكانة كبيرة سواء في الفكر المسيحي أو الفكر الإسلامي؛ حيث أصبحت فكرة الغائية من أهم الحجج التي تستخدم لإثبات فكرة وجود الله، وفي العصر الحديث تجلت فكرة الغائية بوضوح في كتابات

---

(1) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، مادة: (الغاية)، ج(٢)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٢٠.

(2) Dagobert D. Runes: The Dictionary of Philosophy, Art:" Telelogy", Philosophical Library,Inc.NweYork,P315,1998.

(*) كرستيان فولفChristian Wolff(١٦٧٩-١٧٥٤): فيلسوف وعالم رياضي ألماني، تناول بدقة وحرفية شديدة في مؤلفاته العديد من فروع المعرفة واللاهوت والرياضيات وعلم الجمال والاقتصاد، وكان الفيلسوف الألماني كانط أحد تلاميذه، ومن أشهر مؤلفاته:"الفلسفة الأولي أو الانطولوجيا"، "الكوزمولوجيا"، و"علم النفس التجريبي "، و"اللاهوت الطبيعي"، و"قانون الطبيعة" <<انظر: جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، مادة"فولف"، دار الطليعة، ط٣، بيروت، ٢٠٠٦، ص٤٥٧.>>

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

"ليبنتز"[**] التي ربط بينها وبين إرادة الله الخيرة وقدرته علي الإبداع في نشأة هذا الكون، أما كانط[***]فقد استعمل فكرة الغائية في معالجته للحجة الغائية لإثبات وجود الله.

وفي القرن التاسع عشر تقلصت فكرة الغائية، وتداخل معها مجموعة من المفاهيم الجديدة مثل "الآلية والحيوية"[1].

إذن فالغائية التي نريد البحث عنها هي المذهب الذي يري أن الكون تنظمه غايات ومقاصد، فكل شيء يحدث أو يوجد له غاية أو هدف نهائي يسعي نحوه"[2].

ثالثاً: الدين (Religion):

يعتبر مصطلح "الدين" من أكثر الألفاظ قرباً للإنسان والتصاقاً به، لأنه يمس حياته وأخلاقه وسلوكه وعاداته، بل هو يتغلغل في جوانب حياته البشرية بأسرها ويسيطر

(**)ليبنتز(١٦٤٦-١٧١٦): هو" جوتفريد فيلهلم ليبنتز " فيلسوف ألماني وعالم رياضيات ولاهوتي وكيمائي وهندسي، ولد سنة ١٦٤٦ في مدينة "ليبتسج"، وكان أبوه من رجال القانون وأستاذاً للفلسفة الأخلاقية في الجامعة الموجودة بالبلدة نفسها، درس الرياضيات والفلسفة وأتقن اللغتين اليونانية واللاتينية في سن صغيرة، اهتم بمسائل الحقوق والسياسة والدين، وكان من أكثر رجال السياسة فاعلية في عصره، حلم بوحدة كونفدرالية تجمع الأمم الأوربية، وتسعي إلي توحيد الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية، وفي الفلسفة تأثر بفلسفة "أرسطو" و"ديكارت"، فجمع بينهما في فلسفة تؤمن بمقدرة العقل وبوجود قوة دينامكية في الكون الذي يحتوي علي وقائع فردية، وقد عبر "ليبنتز"عن فلسفته هذه في مذهب يتصف بصفات العقلانية والروحانية والديناميكية والفكر اللاهوتي، ومن أشهر مؤلفاته "مقالة فلسفية حول الإدراك الإنساني "(١٦٩٠) وانتقد فيها فلسفة "جون لوك"، "الثيوديسة"أو تبرير وجود الله(١٧١٠) حيث أراد دراسة الله ومعرفته عن طريق العقل، و"المونادولوجيا"(١٧١٤)وهو المؤلف الذي لخص فيه ليبنتز مذهبه الفلسفي.
انظر: : روني إيلي ألفا:موسوعة أعلام الفلسفة"، مادة"ليبنتز"، ج(٢)، ص٣٥٢، ٣٥١، عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، مادة"ليبنتز"، (ج٢)، ص ٣٨٨، ٣٨٧.>>

(***) ايمانويل كانط"Immanuel Kant"(١٧٢٤-١٨٠٤ ولد في مدينة "كونيجسبرج"، وتلقي تعليمه الأساسي في "مدرسة فريدريش" حتى تخرج منها بعد إنهائه لدراسته الثانوية فيها، ثم انتقل إلي جامعة "كونيجسبرج"عام ١٧٤٠ ليتابع دروساً في الفلسفة والعلوم، وكانت فلسفة " ليبنتز"، وفيزياء "نيوتن" المذهبين السائدين في الجامعات الألمانية، وتخرج من الجامعة في عام ١٧٧٤، وعين معيداً فيها، وحصل علي درجة الدكتوراه عن رسالته التي قدمها بعنوان:"شكل ومبادئ العالم الحسي والعالم المعقول، وقضي كانط كل حياته التعليمية في هذه الجامعة، وترك التدريس في سنة ١٧٩٦ لتدهور أحواله الصحية، وتوفي في سنة ١٨٠٤.
فلسفته: تعرف فلسفة كانط بكونها فلسفة نقدية اهتمت بتحليل المعرفة تحليلاً نقدياً، فركزت علي العقل الخالص في تمييزه بين الصحيح والخطأ وإدراكه للواقع، وعلي نقد العقل العملي في تمييزه بين الخير والشر، ونقد الإدراك في فهمه لغائية الأشياء وجمالها.
<<انظر: روني إيلي ألفا:موسوعة أعلام الفلسفة"مادة :كانط "، ج(٢)، ص٢٤٤-٢٤٥& محمود زيدان:كنط وفلسفته النظرية، ص ص ٩، ١٧:٢٣.>>

(1) عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، مادة "الغائية "، (ج٢)، ص ٧٩ - ٨٠.
(2) هنتر ميد:الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ، ص ٤٣٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليها، بل إن الأمر يتعدي ذلك ليصبح الدين في الكثير من الأحيان المحرك الرئيس لسلوك الإنسان[١].

ومع تنوع الأديان واختلاف الشعوب إلا أن هناك أمراً رئيساً وهو اعتقاد الإنسان بموجود أرفع منه وأعلي، أطلق علي هذا الموجود اسم "الرب أو الإله"، ودان له بالخشوع والطاعة، واعترف بعنايته بالحوادث [٢]، وهذه المظاهر هي التي كشفت عنها الأصول اللغوية للمصطلح سواء كان في اللغة العربية أو في اللغات الأجنبية كما سنري.

أولاً: في اللغات الأجنبية:

كلمة "Religion"مأخوذة في الأصل من الكلمة اللاتينية" Religio " والتي تعني الجمع أو الربط، وكانت هذه الكلمة تطلق للدلالة علي العلاقة أو الرابطة بين ما هو إنساني وإلهي[*]، ومن جانب آخر تشير إلي الاعتقاد في القدرة الإلهية[**]، كما تتضمن معني المهابة والاحترام لكل ما هو مقدس[***][٣].

ثانياً: في اللغة العربية:

إذا نظرنا في اشتقاق الكلمة، ووجوه تصريفها، وجدنا أنها تعود في نهاية الأمر إلي ثلاثة معان تكاد تكون متلازمة، فكلمة "الدين" قد تؤخذ من فعل متعد بنفسه "دانه يدين"، وتارة من فعل متعد باللام"دان له"، وتارة من فعل متعد بالباء"دان به".

فإذا قلنا "دانه ديناً":عنينا بذلك أنه ملكه، وحكمه، وساسه، وقهره، وحاسبه، وقضي في شأنه، وجازاه.والدين في هذا الاستعمال يدور حول معني الملك، التصرف والحكم و القهر والمحاسبة والمجازاة، ومنه"مالك يوم الدين"أي يوم المحاسبة والجزاء.

والمعني الثاني إذا قلنا "دان له": أي أراد طاعته، وخضع له، فالدين هنا هو الخضوع والطاعة، والعبادة، والورع، وأقرب مثال لذلك كلمة "الدين لله" أي الحكم لله أو الخضوع لله.

---

(1) إمام عبد الفتاح:أفكار ومواقف، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦، ص١٨٠.

(2) يوسف كرم: الطبيعة وما بعد الطبيعة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، الطبعة الأولي، القاهرة، ٢١٠٤، ص١١٧.

(*)"bond between humans and gods"

(**)"conduct indicating a belief in a divine power"

(***)" respect for what is sacred"

(3)Julia Creswell: The Oxford Dictionary of Word Origin, Art:"Religion",P:560.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما المعني الثالث إذا قلنا: "دان بالشيء" :فيكون القصد منه اتخذه ديناً ومذهباً، أي اعتقده واعتاده أو تخلَق به، فالدين هنا هو المذهب والطريقة التي يسير عليها المرء نظرياً وعملياً.كما يقال هذا "ديني وديدني".

والمعاني الثلاثة في النهاية تشير إلي علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له، فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعاً وانقياداً، وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمراً وسلطاناً وحكماً وإلزاماً، وإذا نظر بها إلي الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة، أو المظهر الذي يعبر عنها[١].

ويمكن إجمال ما سبق في أن الدين هو الاعتراف بوجود قوة عليا، هذه القوة متحكمة في الكون، ويحاول البشر الاقتراب منها، لأن في هذا الاقتراب نعَمٌ كثيرة من أهمها الشعور بالأمان والسعادة، وينطبق هذا التعريف علي الديانات الوضعية والديانات السماوية.[٢].

رابعاً: الميتافيزيقا (Metaphysics):

يرجع لفظ "الميتافيزيقا أو ما بعد الطبيعة" إلي أحد أتباع "أرسطو" وهو "أندرونيقوس الروديسي"، وقد عني بترتيب كتبه، فوجد في البداية "كتاب الطبيعة"، ثم تلاها مجموعة من المقالات أطلق عليها"تاميتا تا فوسيخا φυσιΧα τα μετά τά " والتي تترجم حرفياً إلي ما بعد الطبيعة.

وكان موضوع هذه المقالات يدور حول ثلاثة موضوعات أساسية هي الحكمة أو الفلسفة الأولي والعلم الإلهي ؛وهو بذلك يتضمن ثلاثة مباحث كبري؛ أولها: مبادئ المعرفة إطلاقاً، والثاني: الأمور العامة للوجود، والثالث "الألوهية رأس الوجود "، وهي مباحث تشترك مع بعضها وتؤلف علماً واحداً يشتمل علي أعلي درجة من درجات التركيب والتجريد [٣].

ويري "أرسطو" أن هذه الفلسفة الأولي هي أعم العلوم :لأنها تبحث في أعم العلل، فالعلل والمبادئ الأولي شاملة لجميع أنواع العلل الأخرى، وهي ثانياً أكثر العلوم يقينية: لأنها تبحث عن المبادئ الأولي، والمبادئ الأولي أعلي الأمور درجة في اليقين، كما أنها هي أنفع العلوم؛ فالوصول إلي العلل الأولي يعطينا أكبر قسط من العلم، كما أنها أكثر

(1) إمام عبد الفتاح:أفكار ومواقف، ص١٨٠.
(2) هنتر ميد:الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ص ٤٣٦.
(3) يوسف كرم: الطبيعة وما بعد الطبيعة، ، ص١١٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العلوم تجريداً، لأنها تبحث في أكثر الأشياء بعداً عن الواقع العيني، وهي أشـــرف العلـــوم لأن موضوعها النهائي هو أشرف الموضوعات وهو الله[١].

ويبدأ تاريخ الفكر الميتافيزيقي في الفلسفة الغربية بتأملات الفلاسفة الأيـــونيين فـــي القرن السادس قبل الميلاد، وذلك ببحثهم عن أصل الكون الطبيعي، واختلفـــت بعـــد ذلـــك دلالات "الميتافيزيقا "؛فموضوعها عند "أرسطو" والمدرسيين هو البحث عن العلل والمبادئ الكلية الأولي، أما عند المحدثين فهي مقصورة علي البحث في مشكلة الوجود والمعرفـــة، وهي العلم الذي يبحث في حقائق الأشياء لا في ظواهرهـــا متجـــاوزاً حـــدود التجربـــة، ومحاولاً الكشف عن الحقائق المطلقة[٢].

إذن "فالميتافيزيقا" فرع في الفلسفة موضوعه هذه المسائل الثلاثة، وأهمهـــا مـــن غير شك موجود معين بيده أمر العالم أجمع، إنه ذلك الفرع الذي يرمي إلـــي اكتـــشاف العلة الأولي للأشياء وتحديد صفاتها بالعقل وحده، دون اللجوء إلي العاطفة ولو كانـــت العاطفة الدينية. [٣]

وفي نهاية هذا القسم وبعد استعراض معاني المصطلحات الأساسية للبحث يكـــون الهدف الرئيس الذي يريد البحث الوصول إليه هو ما يلي :

الكشف عن أسباب وجود هذا العالم وأصوله والغاية منه، سواء كان ذلـــك عـــن طريق النظر العقلي (الفلسفة والميتافيزيقا)، أم عن طريق رده إلي قوة عليا أو موجـــود أعلي يتحكم فيه وينظمه(الدين)، و موقف الفكر الوجودي من وجهتي النظر هذه، وهـــل سلم بإحداهما، أم بالاثنين، أم كان له وجهة نظر أخري ؟

هذا ما سنحاول الإجابة عنه في القسمين التاليين.

---

(1) عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، مادة "الميتافيزيقا "، (ج٢)، ص ٤٩٤، ٤٩٣.

(2) عزيزة عبد المنعم صبحي وآخرون :قراءة للمصطلح الفلسفي، مراجعة :صفاء عبد السلام جعفر، مـــصطلح "الميتافيزيقا"، دار كلمة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠١٢، ص٤٦، ٤٥.

(3) يوسف كرم: الطبيعة وما بعد الطبيعة، ، ص١١٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القسم الثاني: العالم بين الدين والميتافيزيقا في مراحل الفكر الفلسفي (نماذج ممثلة):

إن السؤال عن أصل العالم سؤال قديم ربما يعود إلي اللحظة الأولي التي بدأت فيها عين الإنسان تتفحص كل ما حولها، وبدأ عقله في التساؤل عن الكيفية التي وجد بها العالم، ومن أوجده، وما القوي التي تتحكم فيه ؟

وبدأت الإجابات عن هذه التساؤلات تتدرج وتتطور بتطور العقل الإنساني وتطور قدرته علي التحليل والتفسير، وربما كان للتفسيرات الدينية(*)السبق في الإجابة عن هذه التساؤلات، فنري الحضارات الشرقية القديمة كالحضارة المصرية القديمة (**) والحضارة الصينية القديمة(***)، وحضارة بلاد فارس(****) تحاول الإجابة عن مثل هذه التساؤلات.

(*)المقصود هنا بالتفسيرات الدينية :التفسيرات الدينية الوضعية الخاصة بمعبودات الحضارات القديمة، فبالطبع لم تكن الأديان السماوية ظهرت بعد.

(**)تعددت القصص والأساطير في الحضارة الفرعونية حول خلق الكون، وذلك بسبب تعدد الآلهة واحتلال كل إله جديد لمكانة الإله الذي سبقه، واعتباره الإله الأول والأوحد، فلم يعد يعرف أيهم الأول بالفعل، ولكن ثمة أسطورة هي الأشهر والأكثر انتشاراً في تاريخ مصر القديمة، بين الأساطير المختلفة لأقاليم مصر القديمة.، وتقول هذه الأسطورة إن قبل الخلق لم يكن هناك شيء على الإطلاق سوى "نون"، والتي تعتبر أصل الموجودات والمخلوقات كلها، والتي يفسرها علماء المصريات بأنها الأم أو الرحم الكونية التي خرجت منها كل الأشياء، يمكننا تبسيط التعريف بشكل أكثر وضوحاً ومنطقية، والقول بأن نون تمثل العدم، السكوت والصمت المطلقين قبل الخلق.، ويبدأ الخلق في الحضارة الفرعونية بوجود المحيط الأزلي أو المياه الأزلية، التي تطفو على سطحها بيضة ذهبية ضخمة، وهي البيضة الكونية التي تتبناها أساطير عدة حول نشوء الكون، وبانفجار هذه البيضة خرج منها الإله "أتوم" الإله الأول، عطس" أتوم" فخلق بقوة صوته الإله "تشو" إله الهواء، ثم بصق بعدها فظهرت إلهة الندى "تفنوت".ليكونا بذلك الجيل الأول من الآلهة، وبزواجهما ينجبا "نوت" ربة السماء، و"جب" رب الأرض، ثم يفصل بينهما والدهما الإله تشو، حيث يرفع نوت عالياً لتصبح السماء، بينما يبقي جب في الأسفل ممثلاً الأرض، وفي هذه الأثناء خرج الإله رع للوجود من قلب زهرة لوتس عائمة على سطح البحر، يقال إنه خلق نفسه بنفسه، بدون تدخل من الإله "أتوم"، وبمجرد ظهور "رع" وخروجه من العدم نشب الصراع بينه وبين "أتوم"، بسبب سيطرة "رع" واستحواذه على مكانة كبير الآلهة، ومن هنا بدأت الآلهة في الانقسام إلى صفين، صف "رع" وصف" أتوم". وبنشوب الحرب قامت الآلهة بخلق الشياطين والشر لمواجهة الفريق الآخر، وبازدياد قوى الشر على الأرض قررت الآلهة تركها للأبد والانتقال للعيش في السماء، بعد خلق البشر وتسخيرهم لمواجهة قوى الشر، وتوفير الماء والزرع والجنس لهم للاستمرار على الأرض وتطهيرها من الشر.

<<انظر : ياروسلاف تشرني :الديانة المصرية القديمة، ترجمة :أحمد قدري، دار الشروق، الطبعة الاولي، القاهرة، ١٩٩٦، ص٤٨-٥٠>>

(***) تدور أسطورة الخلق في الحضارة الصينية حول انبثاق الحياة من بيضة كونية أيضاً، كتلك التي خرج منها الإله آتوم في الحضارة الفرعونية، لكن هذه المرة ساكن البيضة بطل بقوى خارقة وليس إلهاً، بطل يدعى "بان كو" والذي استيقظ من نوم طويل دام ١٨ ألف عام، وعند استيقاظه لم ير حوله سوى الظلام الذي يحيط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولكن إجابات هذه الحضارات بالرغم من الاختلافات الظاهرة فيها إلا إنها كانت تتميز بأمرين أساسيين :الأول هو سيادة النزعة الدينية :حيث تظهر فكرة الإلهة التي يرد إليها خلق العالم، والأمر الثاني هو : إبراز فكرة الصراع الأبدي بين النور والظلمة وبين الخير والشر، والميل نحو الاعتقاد بأن الوجود دائماً هو الخير، والخلق دائماً هو رمز للحياة، بينما يرتبط الظلام بالشر وبالعدم.

وننتقل إلي بلاد اليونان حيث كان للبحث عن أصل الوجود مكان في التراث الشعري اليوناني، فقد كانت الأسطورة اليونانية محاولةً لتفسير ظهور الحياة علي الأرض، والكشف عن أسباب الكوارث والظواهر الطبيعية التي وجد الإنسان نفسه عاجزاً أمامها ولتحديد مكان الإنسان في العالم المحيط به.

إلا أن الأمر لم يختلف كثيراً عن ما كان في الحضارات القديمة فامتلأ أيضاً بالخرافات، وأرجع أصل العالم وتكوينه إلي عناصر خارقة، وإلي الآلهة التي كان الدين

به من كل مكان، فقرر تحرير نفسه بنفسه من هذا المكان الضيق، وأخذ يدور يميناً ويساراً محاولاً تهشيم هذه البيضة، حتى تحطمت وسقطت المواد الثقيلة بداخلها لتتكون الأرض، بينما تطايرت المواد الخفيفة نحو الأعلى وشكلت السماء. سرّ" بان كو" بانفصال الأرض عن السماء، لكنه كان قلقاً من احتمال اتصالهما ببعض مرة أخرى، وكان بان قو عملاقاً يمتلك جسداً ضخماً للغاية، فظل واقفاً بين السماء والأرض، رافعاً السماء بيديه خوفاً من أن تسقط وتعود لسيرتها الأولى ملتصقة بالأرض. ظل بان قو على هذه الحال حتى ١٨ ألف عام أخرى، حيث بدأت تخور قواه ويضعف جسده أكثر فأكثر، حتى سقط فجأة ومات. وبموته تطايرت أعضاء جسده لتشكل الكون، فتحولت عينه اليسرى إلى الشمس، أما عينه اليمنى فأصبحت القمر، أيضاً تحولت أنفاسه إلى رياح، وصوته إلى رعد، ولحيته البيضاء إلى نجوم تزين السماء، كذلك رأسه وأطرافه الأربعة تحولت إلى جبال ووديان، أما دماؤه فصارت أنهاراً وبحيرات، وبذلك تشكلت الدنيا.
انظر: ولتر فيرسرفس:أصول الحضارة الشرقية، ترجمة:رمزي يسي، دار الكرنك للنشر والطباعة، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٣٣.>>

(****) تختلف أساطير الخلق الفارسية قليلاً عن الأساطير السابقة، فليس هناك امتداد مائي بزغت منه الحياة، بل بدأ الكون بصراع بين النور والظلام، صراع بين قوتي جيشين يترأسهما "أهورامزدا" قائد جيش النور، وفي الجهة المقابلة "أهريمن" قائد قوى الظلام. بدأ الصراع بينهما عندما أراد "أهيرمن" نزع السلطة من "أهورامزدا" الذي حكم عالم الأرواح لمدة ٣٠٠٠ عام، أمهل "أهيرمن" "أهورامزدا" ٩٠٠٠ عام للتخلي عن الحكم دون حرب، لكن أهورامزدا رفض تخليه عن السلطة، وخلال هذه المهلة قام بخلق الكون على ست مراحل، حيث قام بخلق السماء أولاً، ثم الماء، فالأرض، فالنباتات، فالحيوانات والماشية، وأخيراً خلق الإنسان في الوقت الذي اشتغل فيه أهيرمن بخلق الشياطين والمسوخ لمواجهة أهورامزدا.
انظر: سليمان مظهر: قصة الديانات، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥، ص٢٩٦-٣٠٠>>

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرسمي يقرنها مع قوي الطبيعة(*).

و في القرن السابع قبل الميلاد شهدت مدينة "ملطية Miletus" اليونانية، ميلاد الفكر الفلسفي المجرد، وكان ذلك علي يد ثلاثة من أعلام هذه المدرسة: "**طاليس**"، "**انكسمندريس**"، "**انكسمنس**، وقد ولدت معهم أولي محاولات البحث في طبيعة هذا الكون أي "الكوزمولوجيا"، كما كان يجمعهم الاتجاه المادي:أي اعتقادهم بأن الحقيقة العلمية و الفلسفية ترد إلي مادة أولية تفيد أصل الوجود ومبدأ نشأته وحركته(١).

(*) شهدت بلاد اليونان مجموعة من الأساطير التي تدور حول نشأة الكون، فنري علي سبيل المثال يبدأ الكون في الأسطورة اليونانية بظلام حالك، حالة كاملة من العدم، لكن لم تدم هذه الحالة حيث قسم العدم نفسه إلى إلهين هما "جايا" إلهة الأرض، و"أوروانوس" إله السماء، وكانا ملتصقين ببعضهما حتى نشب بينهما خلاف، فانفصلا عن بعضهما إلى الأبد، وبعد زواجهما أنجبا عدداً كبيراً من الآلهة، قاما بتقسيمهم إلى قسمين؛ القسم الأول هم "التيتان" وهم آلهة تشبه البشر قليلاً وتمتلك قدرات خارقة، بعكس القسم الثاني الذي أطلقوا عليه اسم "الكولكلوبيس"، فقد كانوا أشبه بمسوخ وشياطين قبيحي المنظر إلى أبعد حد، فقام "أوروانوس" بسجنهم في باطن الأرض، رغم اعتراض الإلهة "جايا". ومن هنا بدأت الحروب الدامية بين الآلهة والتي امتدت لعصور، حروب اشتعلت فيها الأرض والسماء بالصواعق والرعد، وهاجت البحار والمحيطات، وذلك بصراع الآلهة الأولى مع الآلهة الجديدة، بدأ الخلاف عندما طلبت "جايا" من أولادها التيتان تحرير إخوتهم المقيدين في باطن الأرض، فلم يقبل أحد إلا ابنها الأصغر الإله "كرونوس"، فأوصته بذبح والده أولاً انتقاماً لإخوته، وبالفعل قام "كرونوس" بذبح أبيه بالمنجل. حرر كرونوس إخوته وأصبح حاكماً عليهم، حتى كبر وهرم فخاف أن يلقى مصير أبيه ويذبحه أحد أبنائه، فقام بابتلاعهم جميعاً، خاصة بعد إعلان أحد الآلهة نبوءة تؤكد بأنه سيأتي اليوم الذي يتم قتل فيه "كرونوس" على يد واحد من أبنائه، لكن زوجته "ريا" أخفت اينها السادس "جوبتير" عنه، وعزلته في جزيرة بعيدة عن أبيه حتى لا يبتلعه. نشأ جوبتير في هذه الجزيرة حتى كبر ونضج، فأمرته أمه بالعودة للانتقام لإخوته، وبالفعل تحققت النبوءة وقتل جوبتير والده، وأصبح بعدها كبير الآلهة، وقام بتقسيم أمور الكون على إخوته وظل هو سيداً عليهم، وفي هذه الفترة قام "جوبتير" بخلق البشر لمساعدة الآلهة، لكنه رأى فيهم غطرسة واضحة، وضعفاً وتخاذلاً عن أداء مهامهم، فضلاً عن عدم احترامهم للآلهة، فأمر مستشاره وأخاه بروميثيوس بإبادتهم وخلق جيل جديد، فجاء الجيل الجديد أكثر ضعفاً وفشلاً في تسيير أمور حياته من الجيل الذي سبقه، وأصابه الفقر والبرد والمرض، فاقترح بروميثيوس على جوبتير أن يمدهم بالنار لمساعدتهم، إلا أن "جوبتير" رفض خشية أن يعتقدوا بأنهم أصبحوا متساويين مع الآلهة. وبمرور الوقت رفض بروميثيوس سياسة جوبتير في التعامل مع البشر، فتخلى عن ألوهيته ونزل إلى الأرض ليعلم البشر أمور الحياة ويعدل بينهم ويوجههم إلى الطريق الصحيح، الأمر الذي أثار غضب "جوبتير" وأقسم على أن يهلك الأرض ومن عليها، فأرسل طوفاناً قوياً لم يبق أحداً، باستثناء "ديوكاليون بن جوبتير"، الذي توارى إلى قمة جبل هو وزوجته، وبعد انتهاء الطوفان نزل الاثنان وتجولا في الأرض وسكنا معبداً قديماً للآلهة، وسمعا صوتاً يناديهم بأن أعيدوا إعمار الأرض بالسكان من عظام أمكما؛ فأدركا أن هذا الصوت هو صوت ربة الأرض "جايا"، فراحا يحملان الصخور ويرميان بها في طريقهما، فكان كل حجر يرميه "ديوكاليون" خلفه يتحول إلى رجل، وكل حجر ترميه زوجته خلفها يتحول إلى امرأة، وعادت الحياة من جديد وعاد البشر يعمرون الأرض في ظل الإله "ديوكاليون" العادل.

""انظر: أمين سلامة: الأساطير اليونانية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨، ص ١٢-١٥>>

(1) أميرة حلمي مطر :الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨.ص٣٥

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويمكن القول بأن هؤلاء الفلاسفة الأيونيين قدموا نموذجاً جديداً لتفسير الطبيعة، وقدموا تفسيرات تقترب إلي الفكر العلمي أكثر من الفكر الخرافي، فلا وجود لشيء خارج الطبيعة، فالناس و الآلهة والعالم يكونون كوناً موحداً ومتجانساً [١].

ويخطو العقل الإنساني خطوة جديدة في تفسير العالم مع المدرسة الفيثاغورية(٥٣٢ق.م_٣٩٩ق.م)، التي تعد نقلة نوعية في تاريخ الفكر اليوناني، فهي تمثل خطوة واسعة في طريق التجريد العقلي، والتجديد الديني، والنسك والروحي، والتقدم بالإنسانية نحو الكمال.

فقد اشتغلت هذه المدرسة بالرياضيات والفلك والموسيقي والطب، وأكدت علي فكرة جلية :وهي أن العلم هو الوسيلة الفعالة لتهذيب الأخلاق وتطهير النفس، فجعلت من العلم رياضة دينية إلي جانب الشعائر، ولذلك جاءت فلسفتهم الطبيعية متسقة مع هذه المبادئ[٢].

وتري المدرسة الفيثاغورية أن العدد هو أصل العالم، ومنشأ وحدته، ومصدر نظامه وانسجامه، وهو الذي تصدر عنه الأشياء، وهو الضابط لتحولاتها المختلفة.وهو الذي تصير إليه الأشياء عند انحلالها وفنائها.

أما المدرسة الإيلية التي يمثلها "بارمنيدس(٥٣٠ق.م-٤٤٠ق.م)" فقد اتخذت اتجاهاً مختلفاً في النظرة إلي الوجود، حيث أكد أن الوجود هو المقولة التي تشير إلي كل الموجودات، والوجود عنده كلي، واحد، وغير متغير، ولذا فهذا الوجود لم يكن، ولن يفني، إنه واحد ثابت نهائي ليس له ماضٍ ولا مستقبل، ولأنه كامل ومتصل ومستمر فلا يمكن أن نبحث له عن أصل.وبناء علي ذلك يصبح التساؤل عن أصل الوجود لا محل له، فالوجود ثابت والحركة فيه تعني التغير، وهذا الأمر هو الذي رفضه بارمنيدس[٣].

وفي اتجاه مغاير للثبات عن "بارمنيدس" نري "هيرقليطس" فيلسوف الصيرورة، فيلسوف التجدد والتغير والتحول الدائم، إذ يري أن التناقض هو التعبير الحقيقي عن جوهر الأشياء، وتدور فلسفته حول مقولة واحدة هي "الأشياء في تغير متصل ولا شيء ثابت "، ولولا التغير لم يكن شيء، فإن الاستقرار هو موت وعدم.

---

(1) جان بير فرنان:أصول الفكر اليوناني، ترجمة:سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الأولي، بيروت، ١٩٨٧، ص ٩٢، ٩١.

(2) محمد عبد الرحمن مرحبا: تاريخ الفلسفة اليونانية من بدايتها حتى المرحلة الهلينستية، ص٦٤، ٦٥.

(3) أميرة حلمي مطر :الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، .ص٨٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و "هيرقليطس" مثله مثل فلاسفة المدرسة الملطية، يقول بوحدة الوجود، ويرد هذا الوجود إلي عنصر واحد، وهذه المرة اختار "هيرقليطس" عنصر "النار" ليرد إليه كل الموجودات ويعتبرها أصل الحياة، وهذه النار ليست هي التي ندركها بالحواس، بل هي نار إلهية لطيفة جداً، نسمة حارة حية وعاقلة و أولية وأبدية تملأ العالم، وتشتعل بحساب وتخبو بحساب[١].

وتظهر بعد ذلك بعض المحاولات التي حاولت التوفيق والمزج بين جانبي التغير و الثبات تمثلت في محاولات المدرسة الذرية فعلي سبيل المثال "أمباذوقليس (٤٩٠ق.م_٤٣٠ق.م)" الذي يري أنه "ليس في الطبيعة توالد لما لم يكن موجوداً من قبل ولا فناء لما هو كائن، إنما هو مجرد انضمام وانفصال لنا هو موجود، وهاتان الحركتان - الانضمام والانفصال - تتمان بواسطة قوتي المحبة والكراهية، وتظهر الموجودات نتيجة الصراع بين القوتين.

وهناك تحليل آخر طرحته المدرسة الذرية لدي "لوقيبوس" و"ديمقريطس" (٤٦٠ق.م_٣٦٠ق.م) حيث دلتهما التجربة علي وجود ذرات مادية غاية في الدقة كالتي تتطاير في أشعة الشمس، فقالوا إن الوجود الواحد المتجانس ينقسم إلي عدد غير متناه من الوحدات المتجانسة غير المحسوسة لتناهيها في الدقة تتحرك في الخلاء، وتتلاقي وتفترق، فتحدث بتلاقيها وافتراقها الكون والفساد، ويري "ديمقريطس" أن الضرورة الآلية هي التي تدفع الذرات إلي الحركة المستمرة[٢].

ويخبو بعد ذلك التساؤل عن أصل الوجود مع النزعة الإنسانية التي ظهرت مع السفسطائيين و"سقراط"(٤٧٠ق.م_٣٩٩ق.م) لتعاود الظهور بشكل مختلف مع "أفلاطون" حتى إننا نستطيع القول إنها اتخذت اتجاهاً غائياً، ، حيث كان هدفه الأساسي هو الوصول إلي الحقيقة المثالية العليا التي يكون الاقتراب منها غاية السعادة والطهارة للنفس الإنسانية.

ويطرح "أفلاطون"(٤٢٨ق.م_٣٤٨ق.م) التساؤل حول أصل العالم وغايته في محاورة " تيماوس" فيسأل قائلاً: لم وجد العالم ؟ ويجيب: "لان الإله خير فقد فضل النظام علي الفوضى، ورأي أن ينظم المادة غير المنظمة ؛فيجعل هذا العالم من العناصر الأربعة ووضع فيه نفساً ، وهذه النفس الكونية لا تقتصر مهمتها علي تحريك الكون، ولكن يعود

(1) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٩، ص١٩-٢١.
(2) المرجع نفسه، ص٣٨_٤٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إليها الفضل في تنظيم هذه الحركة واطرداها علي نحو ثابت منتظم، وبذلك يكون الإله الصانع والنفس الكونية هما العلة الأولي في حركة الكون[١].

أما رؤية "أرسطو"(٣٨٤ق.م_ ٣٢٢ق.م) عن أصل العالم وكيف نشأته فتتلخص في تصوره أن حركة الطبيعة تسير وفقاً لنظام وخطة معينة أشبه بعمل الفنان الذي يسير في إنتاجه وفقاً لخطة معينة يتصورها عقله مسبقاً.

وقد أدي هذا التصور إلي انتقال أرسطو من مرحلة البحث الكيفي إلي مرحلة البحث عن إجابة للسؤال: "لماذا تحدث الأشياء علي هذا النحو؟".

ويقسم أرسطو العالم إلي قسمين :عالم ما فوق فلك القمر وتمثله الأفلاك والأجرام السماوية ، وعالم ما تحت فلك القمر وهو العالم المادي المحسوس، وكلاهما قديم لم يخلق، ولكن المحرك الأول الذي يمثل "الإله" [*]عنده يقتصر دوره علي التحريك فقط، دون أن يدري عنه شيء ولا يعي به؛ فالعلاقة بينهم هي علاقة العاشق والمعشوق[٢].

وينحي الفكر في العصور الوسطي منحيً جديداً تطغي فيه النظرة الدينية للعالم والوجود كله، فقد كان السائد آنذاك أنه ليس في وسع العقل وحده مهما كانت دقة العقل وصحة البرهان أن يصل إلي جميع الحقائق، بل هناك مجموعة من الحقائق لا نصل إليها إلا عن طريق الوحي، وعلي ذلك كانت المسلمات الدينية هي نقطة البداية التي انطلق منها فلاسفة العصر الوسيط عامة، وفي السؤال عن أصل العالم خاصة.وكان الهدف الأساسي لهذه الأفكار هو إثبات التوافق بين المسلمات الدينية والعقلية[٣].

فعلي سبيل المثال حاول "أوغسطين" (٣٥٤م – ٤٣٠م) حل التناقض بين الحقيقة الفلسفية والحقيقة اللاهوتية تحت مقولة "آمن كي تعقل" فتكون مهمة العقل هي فهم العقائد الإيمانية، وبناء علي ذلك فالعالم عند "أوغسطين" حادث ومخلوق من الله، وهو أثر من آثاره، ولذلك تتألف فيه الصفات الإلهية كالوحدة و الحقيقة والخير والجمال.

---

(1) أميرة حلمي مطر :الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، .ص٣٢١.

(*) تميزت الميثولوجيا اليونانية القديمة بأنسنة الآلهة أي، تصويرها بشكل بشري ؛ فهي تشبه الناس في جوانب كثيرة؛ فهناك آلهة لها صفات حميدة مثل الطيبة والرأفة والرحمة والخير ومساعدة الضعيف، وهناك أيضا القسوة والظلم والخداع والانتقام، هذا بالإضافة إلي ما تتمتع بها من صفات الآلهة من الجمال والقدرة الفائقة والخلود.
<<انظر: ا.ا.نيهاردت :الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، ترجمة:هاشم حمادي، الأهالي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولي، دمشق، ١٩٩٤، ص٧>>

(2) المرجع نفسه، .ص٣٢١.

(3) إمام عبد الفتاح إمام :مدخل إلي الفلسفة، دار الثقافة، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٧، ص١١٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما السؤال عن الغاية الحقيقية لخلق العالم فيجيب "أوغسطين" أن العالم وجد لأن الله خير والوجود خير، فالعالم من حيث وجوده هو فيض من خير الله، ليس ذلك فحسب بل كل الموجودات هي مخلوقات ترد إلي علة عاقلة ومدبرة هي الله.

نموذج آخر من الفكر المسيحي يمثله القديس" توما الاكويني"(١٢٢٥م _١٢٧٤م) الذي أكد أن الله هو مبدأ جميع الأشياء وغايتها أيضاً، كما رأى أن العالم مخلوق لله، وهذا الأمر إن لم يستطع العقل البرهان عليه، فالوحي جاء مؤكداً له، كما رأى أن الإرادة الإلهية اقتضت الخلق لأنها أرادت ذلك، وليس هناك وقت لهذه الإرادة، وإنما هي تتم دون تحديد زمان لهذا الخلق.

ولم يختلف الفكر الإسلامي كثيراً عن سابقه، فكل منهما كان الوحي يمثل مرجعاً أساسياً له، فأكد معظم الفلاسفة المسلمين علي خلق العالم ووصفوه بأنه محدث، وذلك لأن القول بقدم العالم يفضي إلي تأكيد أن الله ليس خالقاً، وهذا الأمر يتعارض مع ما جاء به الوحي، فالله هو الخالق، و هو العلة الوحيدة لهذا العالم، وإذا كان هناك سبباً يؤدي إلى آخر أو علة تؤدي إلي آخري، فهذا يحدث دون وجود علاقة ضرورية، ويمكن أن تخترق هذه السببية بواسطة المعجزات التي نالت قدراً كبيراً من الدراسات في العصور الوسطي سواء المسيحية أو الإسلامية[١].

وابتداء من عصر النهضة انطلق الجنس البشري لغزو العالم والصراع مع قوي الطبيعة، وبدأ الإنسان ينتقل بفكره من العالم المغلق إلي الكون اللامتناهي، تحت لواء العلم والتقدم العلمي، وبدأت تظهر في الآفاق أفكار جديدة تهدم الكثير من الحقائق التي عاشت عليها البشرية طوال هذه الفترة، من أبرز هذه الأفكار رفض المفهوم الذي أعطته القرون الوسطي للعالم باعتباره متناهياً – علي أساس أن صفة اللاتناهي خاصة بالذات الإلهية - والتأكيد علي لا نهائية العالم، وحمل لواء هذه الفترة "نيكولاي دي كوزا[*] (١٤٠١-١٤٦٤)،

---

(1) محمد جلال شرف :الفلسفة المسيحية بين العقل والنقل، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الرابعة، الإسكندرية، ١٩٩٤، ص ١٤٥_١٤٨.

(*)"نيكولاي دي كوزا Nicola of Cusa(١٤٠١_١٤٦٤)فيلسوف ولاهوتي ألماني حاول أن يضع ميتافيزيقا تشتمل علي تفسير إجمالي للكون، ، فرأي أن العالم غير محدود ولا نهاية له، والعالم ليس له دائرة_كما كان الزعم سابقاً_لأنه لو كان دائرة لكان له في ذاته بدايته ونهايته، ولكان منتهياً بذاته بالنسبة لشيء آخر، وكان خارج العالم شيء آخر ومكان آخر، وكل هذا لا يقدم أي حقيقة.إذ بما أنه من المستحيل أن يكون العالم محصوراً بين مركز مادي ودائرة، فالعالم مبهم ومركزه ودائرته هما الله، وبما أن عالمنا ليس لا متناهياً، إلا أنه لا يمكننا اعتباره متناهياً، لأنه ليس له حدود هو مسجون داخلها".<<انظر: جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، مادة "نيكولا الكوزي"ص٦٨٢.>>

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

"كوبر نيكوس[*]"، "جيورادنو برونو(١٥٤٨_١٦٦٠) [**].

وفي النصف الأول من القرن السابع عشر حدثت ثورة فكرية عارمة تغيرت فيها النظرة للعالم والطبيعة فنري "جاليليو(١٥٦٤_١٦٤٢)" ينادي بأن الطبيعة مكتوبة بلغة رياضية[***].

أما " ديكارت "(١٥٩٦_١٦٥٠) [****]فيضع رؤية جديدة للعالم استناداً إلى مفاهيم العقل والمنهج الكوجيتو، ومفهوم "الله" الذي جعله يحتل المكانة الاسمي في سلم الأفكار باعتباره الضامن للفكر ووجود العالم الخارجي.[1]

القسم الثالث: العالم بين الدين والميتافيزيقا في الفكر الوجودي(نماذج ممثلة):

١- الميتافيزيقا في الفكر الوجودي:

سمة أساسية يتميز بها الفكر الوجودي ألا وهي تناوله للأفكار الفلسفية التقليدية بمنظور جديد ومختلف عن الآخرين، ومن ضمن هذه الأفكار فكرتا الدين والميتافيزيقا.

(*) "نيقولا كوبر نيكوسNicolaus Copernicus (1473_1543):عالم رياضي وفيلسوف فلكي. كان أحد أعظم علماء عصره. يعتبر أول من صاغ نظرية مركزية الشمس وكون الأرض جرماً يدور في فلكها في كتابه "حول دوران الأجرام السماوية". وهو مطور نظرية دوران الأرض، ويعتبر مؤسس علم الفلك الحديث.

(**)جيورادنو برونوGiordano Bruno (١٥٤٨_١٦٦٠):راهب وفيلسوف إيطالي كاثوليكي، درس الفلسفة واللاهوت، وحكم عليه بالإعدام نتيجة لآرائه في الكون والطبيعة، إذ نادي بأن الكون لا متناه، وهو بذلك جعل الطبيعة تتشارك مع الوجود الإلهي في هذه الصفة، فأصبحت الطبيعة لديه هي القوة الإلهية الحقيقية، ومن خلاله بدأت فكرة الكوزمولوجيا اللامتناهية. ".<<انظر: جاكلين روس:مغامرة الفكر الأوروبي، ترجمة:أمل ديبو، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ٢٠١١، ص١١٥، ١١٣>>

(***)جالليوGalileo Galilei (١٥٦٤_١٦٤٢): عالِم فلكي وفيلسوف وفيزيائي إيطالي، اهتم بدراسة مشكلات الفلسفة الطبيعية، وقال إن الشمس هي مركز العالم، ورأي أن الطبيعة مكتوبة بلغة رياضية، وحروفه مثلثات ودوائر وأشكال هندسية، وبدونها يستحيل فهم أية كلمة من كلماته. ".<<انظر: جاكلين روس:مغامرة الفكر الأوربي، ص ١٤٥>>

(****)رينيه ديكارت (١٥٩٦_١٦٥٠) : قائد الثورة الفكرية المتزامنة مع الثورة العلمية، قال بوجود درجتين من الوجود العقل والمادة، وأكد أن الحقائق غير العقلية يمكن اختزالها وردها إلي مفاهيم ميكانيكية خالصة، فكل شيء يمكن تفسيره عن طريق القوانين الميكانيكية الحسابية.ونادي بتطبيق طرائق العلوم الرياضية في دراستها للطبيعة علي كل مجالات المعرفة. ونقطة البدء الضرورية للفلسفة في نظره هي الفكر، وساعده الكوجيتو "أنا أفكر إذن أنا موجود".في عملية الانتقال من الفكر إلي الواقع، وهو بذلك استطاع أن يجعل العلاقة بين العقل والمادة كعلاقة العلة بالمعلول.<<انظر:ا.م. بوشنسكي : الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ص٢٥، ٢٤.>>

(1) جاكلين روس:مغامرة الفكر الأوربي، ص ١٤٥

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حيث يميل الوجوديون إلي رفض ما يعرف بالميتافيزيقا النظرية التي تحاول مد نطاق العقل ليتجاوز الظواهر التجريبية في هذا العالم من أجل إدراك حقيقة أو غاية يفترض أنها تعلو علي الحس، وتكمن خلف هذه الظواهر؛ فالوجودي في الأساس ينكر قدرة الفكر علي إدراك الحقائق الواقعية العينية للوجود الإنساني وتنظيمها في مذهب عقلي شامل، وكانت البداية مع "كيركجور(١٨١٣ - ١٨٥٥)" [*]الذي قال عن فكره إنه مجرد احتجاج علي ما رأي أنه مذهب ميتافيزيقي طاغ عند "هيجل" (١٧٧٠ - ١٨٣١م)[**].

(*) سورين كيركجورSØren Kierkegaard (١٨١٣_١٨٥٥):كاتب وفيلسوف دانيماركي، ويعرف برائد الوجودية، بالرغم من أن هذه الريادة لم يحظ بها أثناء حياته، ولكن حظي بها بعد وفاته حيت تمت ترجمة مؤلفاته حتى إن "مارسيل"، و"ياسبرز" و""هيدجر"" و"سارتر" يعلنون انتسابهم إليه رغم بعده في الزمان.والجدير بالذكر أن كيركجور لم يقدم نظاماً فلسفياً بالمعني المعروف، ولكنه كان في الأساس مهاجماً لنسق "هيجل" العقلي، ولذلك كان معارضاً للعقل إلي أقصي درجة، ومؤكداً علي أولوية الوجود علي الماهية، وربما يكون أول من أعطي كلمة "وجود" معناها "الوجودي".

<< انظر:ا.م. بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا : ص٢٦٤_٢٦٥.>>

(**) جورج فيلهم فريدريش هيجل (١٧٧٠-١٨٣١):أعظم فلاسفة القرن التاسع عشر، وأكثرهم تأثيراً في الفكر المعاصر، ولد بشتوتجارت بألمانيا، وتلقي تعليمه الأولي في مدرسة المدينة، ودرس التاريخ واللاهوت والكلاسيكيات، ثم التحق بعد ذلك بالمعهد اللاهوتي في مدينة "توبنجن" بهدف أن يصبح راعياً، ولكنه سرعان ما رأي أن رسالته الحقيقية تكمن في الفلسفة أكثر منها في الكنيسة، فاهتم بالفلسفة، وارتبط بعلاقة مع "هيلدرلين"وهو واحد من أعظم الشعراء الألمان، وأيضاً"شلنج" الذي كان يكبره بخمس سنوات ومع ذلك صار تلميذاً له، وكان أول كتاب له بعنوان "فرق بين مذهبي فشته و شلنج"، هذا الكتاب الذي نال به استحسان "شلنج" واعتبره تفسيراً لفلسفته، ولكن سرعان ما افترقا لتباين العقلية واختلاف الرأي، عين أستاذاً بجامعة هيدلبرج(١٨١٦)، ثم أستاذاً في جامعة برلين (١٨١٨) حيث بلغ ذروة الشهرة والمجد، والتف حوله التلاميذ النابهون، وشغل هذا المنصب حتى وفاته بالكوليرا عام(١٨٣١)، يكتسب هيجل مكانته في الفكر الفلسفي من الأثر البارز لأفكاره في مسار الفكر، فقد ارتبطت فلسفته ارتباطاً كبيراً بكل الفلسفات التي ظهرت بعده، فلم يخل تيار فلسفي بعده من موقف محدد منه سواء بالتأييد أو المعارضة علي سبيل المثال :تصور ماركس لجدل التاريخ وتحليله للنظام الرأسمالي مدين به لهيجل، وكذلك الوجودية جاءت كرد فعل رافض لفكر هيجل، وكذلك براجماتية ديوي وغيرها قد تأثرت بهيجل تأثيراً عميقاً.

من أهم مؤلفاته: "فينومينولوجيا العقل"(١٨٠٧)ويمثل المدخل إلي فلسفته، ويقصد به وصف الظواهر العقلية وأثارها في حياة الإنسان، ويصف فيه تطور الفرد وتطور النوع، ثم كتابه "المنطق"، ويعد حجر الزاوية في مذهبه، ويأتي في ثلاث مجلدات (١٨١٢_١٨١٦)، وهو عرض للمعاني الأساسية والميتافيزيقية والمنطقية، والكتب الباقية تعالج أقسام المذهب وهي "موسوعة العلوم الفلسفية"(١٨١٧)، "مبادئ فلسفة الفقه"(١٨٢١)، و" دروس في فلسفة الدين"و"تاريخ الفلسفة"و"فلسفة الجمال" ونشرت بعد وفاته، والجدير بالذكر أن أسلوبه غاية في التجريد والتعقيد ومليء بالمصطلحات.

<<انظر. ميخائيل أنوود: معجم مصطلحات هيجل، ترجمة :إمام عبد الفتاح، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠. المقدمة ص٤٩-٥٢,١٨.، أيضاً:يوسف كرم :تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٢٧٤>>

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن الفلسفة الحقة عند "كيركجور" ليست بحثاً في معانٍ مجردة، ولكنها بحث في المعاني التي هي من دم ولحم، ولذلك لابد أن ترد جميع المسائل إلي ذلك الموجود الفرد الإنسان[١].

ويتفرد "نيتشه(١٨٤٤ – ١٩٠٠)"[*]في علاقته بالميتافيزيقا، حيث يعد واحداً من أهم الفلاسفة الذين وجهوا نقداً عنيفاً وشديداً للميتافيزيقا التقليدية، بل دخل معها في حربٍ ضروس تناول فيها كل مبادئها الرئيسة بالتفنيد والرد، حتى وصل به الأمر إلي حد تقديم تعريف ساخر للميتافيزيقا باعتبارها:" العلم الذي يبحث في الأخطاء الأساسية للإنسان، كما لو كانت هي الحقائق الأساسية"، فالميتافيزيقا التقليدية عنده كانت تمثل كل ما خلفه ماضي العقل الإنساني من أخطاء.

وكان الهدف من هذا النقد هو القضاء علي ما تدعيه تلك الميتافيزيقا لنفسها من تَرفُع عن هذا العالم وعلوٌ عليه، والاتجاه إلي العالم المفارق الذي تخلقه وتضفي عليه من الفضائل ما تأباه علي عالمنا الأرضي[٣].

وقد لخص "نيتشه" كرهه وعداءه للميتافيزيقا التقليدية في عبارة"موت الإله"التي يوضحها لنا "هايدجر"(١٨٨٩_١٩٧٦) [**] مؤكداً أن "نيتشه" لم يكن يقصد الإشارة إلي

---

(1) جون ماكوري:الوجودية، ص٣٤٧، ٣٤٦..

(*)"نيتشهFriedrich Wilhelm Nietzsche" (١٨٤٤ – ١٩٠٠) فيلسوف ألماني حاول إعلاء قيمة الإنسان من خلال تقديمه لفلسفة عينية ترتبط بالواقع، وتجعل من "الوجود الإنساني" و الحياة الإنسانية موضوعاً أساسيا للفلسفة. درس الفلسفة اليونانية وتأثر بها، كما تأثر بفلسفة "شوبنهاور" التشاؤمية، و هاجم المسيحية عامة، والفلسفة الألمانية خاصة فلسفة "هيجل"، إذ كان يري فيهما أعداء للفكر وللإنسان، نادي بفكر ثوري أعلن فيه الثورة علي الميتافيزيقا التقليدية تحت شعار "موت الإله" من أجل أن يعلن عن ميلاد الإنسان الجديد (السوبر مان) أو الإنسان الأعلى، و جعله صانعا لقيمه وأخلاقه ومتمتعاً بحياته على الأرض بكل ما فيها من قوة وعاطفة.

<<Mick, C.: Existential Therapies – GBR : sage publication , London ,2003, P: 17-

. << وأيضا: معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، ، مادة""الوجودية"، ص ١٥٠٦.

(3) فؤاد زكريا:نيتشه، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٦، ص٧٦.

(**) مارتن "هيدجر"Martin Heidegger (١٨٨٩_١٩٧٦):فيلسوف ألماني ولد عام ١٨٨٩، ودرس بمدارس اليسوعيين(الجيزويت) ثم درس في جامعة فرايبورج الألمانية، ونال فيها شهادة الدكتوراه عن الرسالة التي قدمها بعنوان " نظرية المقولات والمعني عند دونس اسكوتس" وعين أستاذا فيها، والتقي فيها ب"هوسرل" الذي تأثر به كثيراً وبمنهجه الفينومينولوجي، ثم عين بعد ذلك في جامعة ماربورج عام ١٩٢٣ و، ونشر بها كتابه الرئيس" الوجود والزمان" الذي أودع فيه معظم أفكاره وفلسفته، ويعتبر ""هيدجر"" مفكر شديد الأصالة صعب الفهم وغامض المصطلحات، وبالرغم من ذلك تعتبر فلسفته من الفلسفات المؤثرة في تاريخ الفكر، وربما يرجع ذلك إلي قدرتها علي تجاوزها الجدل الفلسفي حول أولوية الفكر علي الواقع أو الواقع علي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آلهة الأديان، ولكن كان القصد الأساسي منها هو انتقاد وهدم "عالم ما فوق الحس" أو عالم الميتافيزيقا والمثل بوجه عام من أجل تقويض دعائمه، حتى لا يتبقي أمام الفكر سوي البحث في الذات[١].

أما "هايدجر" فيري أنه من الضروري "التخلي عن الميتافيزيقا التقليدية أو قهرها" لأنها عجزت عن إدراك الفارق الأساسي بين وجود الموجود أو موجوديته، ولم تسأل عن حقيقية الوجود نفسه، ولا عن العلاقة الحميمة بين ماهية الإنسان وبين الحقيقة، فالميتافيزيقا تبحث عن أساس الوجود، و تسمي هذا الأساس باسم الوجود، ولقد أخطأت معناه الحقيقي في كل مرة، فتارة يكون هذا الأساس هو الله بوصفه السبب الأسمى أو الأخير سواء عند "أرسطو" أو في العصر الوسيط، أو السبب الترنسندنتالي كما نجده عند "كانط" شرطاً لإمكان قيام موضوعات التجربة، أو الحركة الجدلية التي يعلن بها الروح المطلق عن نفسه كما هو الحال عند "هيجل"، أو إرادة للقوة وهي في صميمها إرادة المزيد من الحياة التي تصنع نفسها أو تبدعها حين تبدع القيم، كما نجد عند "نيتشه"الذي يري "هايدجر" أنه يمثل نهاية الميتافيزيقا الغربية بعد أن سارت في طريق الذاتية إلي آخر مداه.

لقد رأي "هايدجر" أن الخلط بين الوجود والموجود الذي قامت به الميتافيزيقا التقليدية كان الحاجز الذي يحول بين الإنسان وعلاقة الوجود بماهية الإنسان، ولذا فقد قام بتحديد معني جديد للميتافيزيقا حيث يراها ضرباً من التساؤل الذي يتعدي الموجودات ويتجاوزها من أجل أن يسترجعها ويتذكرها في حقيقتها وكليتها، وأطلق علي هذا الضرب من التساؤل اسم "العلو" فبدون العلو_أي بدون البحث الميتافيزيقي تصير المعرفة والعلم مجرد تسجيل للمعطيات تسجيلاً إحصائياً[٢].

الفكر، والقضاء علي ثنائية ديكارت، وإحداثها تحولاً جذرياً في العديد من المصطلحات الفلسفية، وعلي رأسها مفهوم الوجود، الذي اعتبر المفهوم الرئيس فيها، هذا بالإضافة إلي اهتمامها البالغ بالإنسان.

<< انظر:ا.م. بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا : ص٢٧١_٢٧٣.، أيضاً:عبد الرحمن بدوي:موسوعة الفلسفة، ج(٢)، مادة:""هيدجر""، ص٥٩٧_٦٠٠>>

(1)Heidegger, M: The Question Concerning Technology and Other Essays.Tran.by: Willam Lovitt, Harper & Row, Publishers, Inc 1977.p:53.

(2) صفاء عبد السلام جعفر: محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص١٢١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونري أيضاً كارل ياسبرز" (١٨٨٣ - ١٩٦٩)[*]الذي يعلن صراحة أن الميتافيزيقا لا يمكن أن تستبعد، بل لابد من امتثالنا لها والإحاطة بها، أي امتلاكها وجعلها قنية لنا، ولكنه في هذه العبارة لم يكن يقصد الميتافيزيقا التقليدية التي يري، أنها ليست إلا مجرد "مذاهب "قوامها فروض مجردة وفارغة، ولكن الميتافيزيقا الحقيقية عنده لا تكون مشروعة وخلاقة إلا عندما تصير شفراتها وتصوراتها مفهومة، فالميتافيزيقا الحقيقية هي قراءة للشفرات وفهم لغة العلو[١].

إن الميتافيزيقا عند "ياسبرز" هي دراسة للعلو، وانفتاح الوجود الإنساني من خلال الإيمان الفلسفي إلي "المطلق" الذي يفسر كل شيء ويتجه نحو الإنسان بالتحدي والاستسلام، بالسقوط أو بالصعود، بقانون النهار أو هوي الليل، بثروة الكثير أو بالواحد.

ولكن الوصول إلي المطلق يستلزم فك الرموز أو حل ألغاز(شفرات) لغة سرية غامضة إذا فقدت اللغة المباشرة، وثمة رموز الدين والأساطير والتأمل الفلسفي، والإخفاق والصدفة، وخيبة الأمل، "ياسبرز" في هذه الأجزاء الثلاثة يحاول أن ينتقل من العالم الخارجي إلي العالم الداخلي ثم العلوي، وهذا الانتقال يمثل مراحل "العلوTranscendentce " وهو موضوع الميتافيزيقا[٢].

أما "برديائف(١٨٧٤-١٩٤٨)[**]" فيريد أن يؤكد أن الميتافيزيقا هي عمل للإنسان ككل، فالميتافيزيقا الحقة هي "إدراك الروح، وفي الروح، وبواسطة الروح، فالميتافيزيقا

(*)"كارل ياسبرز" (١٨٨٣- ١٩٦٩) فيلسوف وطبيب نفسي ألماني، نشأ في أسرة ثرية في "أولدينبرج" بألمانيا، وتدرب على ممارسة الطب، وكان أول عمل رئيس منشور له عن الأمراض النفسية العامة، ولكنه سرعان ما تحول إلى دراسة الفلسفة، ,ونشر كتاب بعنوان " سيكولوجية الحياة الإنسانية " ثم عُين رئيسًا لقسم الفلسفة في "هايدلبرج"، كان أول من يسمي مذهبه بفلسفة الوجود، وكان أكثر الوجوديين تأثراً "بكيركجور"، و ترتكز وجوديته على ما يعرف باسم"المواقف الحدية " مثل المعاناة والإحساس بالذنب والموت. تؤدي تجربة هذه المواقف إلى الإحساس بفنائنا ومعرفة حقيقة وجودنا حتى نصل إلي"العلو ".

<<Flynn,Thomas: Existentialism A Very Short Introduction, Oxford university press , Oxford, New York, 2006,p:57. >>

(1) محمود رجب: الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٦، ص١٤٣.

(2) كارل ياسبرز :نهج الفلسفة، ترجمة وتعليق :عادل العوا، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٥، ص١٠.

(**) نيقولاي برديائف(١٨٧٤-١٩٤٨): فيلسوف وجودي ومتصوف روسي، ومؤسس ما يسمي "بالمسيحية الجديدة".بدأ حياته الفكرية معجباً ومتأثراً بالماركسية، ثم تحول إلي المثالية ثم إلي الوجودية، راعه التناقضات التي تمزق حياة الإنسان والعالم، وقال إن تلك التناقضات لا يقوي أي مذهب عقلاني مغلق علي احتوائها، كما أن الماركسية أيضاً عاجزة عن تقديم الحل لمشاكل الإنسان وحريته، ورأي أن حل هذه القضايا موقوف فقط علي الوجودية المسيحية أو المسيحية التاريخية كما أسماها، والأمل في عالم جديد أو عصور وسطي جديدة علي حد تعبيره.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تكمن في الذات التي تخلق القيم الروحية وتقوم بفعل متعال، لا في الموضوع بل في أعماقه الخاصة التي تكشف عن ذاتها، فالموجود الإنساني لا يُستنفد عن طريق الوصف التجريبي الموضوعي، بل له أبعاد أخري لا يمكن استطلاعها إلا من خلال البحث الميتافيزيقي.

فالخلاصة إذن هي إنه بالرغم من أن الوجوديين قد فقدوا الثقة في الميتافيزيقا التقليدية ورفضوها، إلا أنهم اقترحوا صوراً أخري من الميتافيزيقا تهتم بالإنسان، ولكن كون الوجود الإنساني هو الموضوع الرئيس للوجودية يؤدي أيضاً إلي إثارة أسئلة من النوع الميتافيزيقي؛ فالوجود الإنساني لا ينفصل عن بيئته، فذلك يفترض أيضاً إثارة أسئلة ميتافيزيقية عن العالم، والزمان، والتاريخ، وعلاقة الإنسان بهذه الموضوعات.

٢- الدين في الفكر الوجودي:

ولما كانت الميتافيزيقا هي البحث عن حقيقة نهائية، ويشير الدين أن هذه الحقيقة النهائية هي الرب، فقد حاول الوجوديون أحياناً البرهنة علي وجود الله، كما أقاموا أحياناً أخري ميتافيزيقا لا تعترف بالألوهية.

إن الوجودي عندما يتحدث عن الرب فهو لا يتحدث عنه علي أساس برهان عقلي يثبت وجوده، بل نتيجة للتفكير في معني الوجود الإنساني عندما يستكشف هذا الوجود حتى أبعد حدوده، والتفرقة بين الوجوديين المتدينين وغير المتدينين لا ينظر إليها من حيث إيمانهم أو عدم إيمانهم بوجود كائن متعال يجاوز العالم الحسي، وهو المعني الذي تتخذه الألوهية في معظم المذاهب الميتافيزيقية التقليدية، ولكن معني الألوهية في الميتافيزيقا الوجودية مختلف ؛إذ يتوحد مع مصادر النعمة و الدينونة التي تمس الإنسان في أعمق مستويات وجوده، فالتفسير الأساسي للوجود الإنساني يكمن في وجود أو عدم وجود معني له، وفي وجود عناية إلهية أو عبث.

والخلاصة إذن :إن الوجودية عندما تتطور إلي أنطولوجيا توحي بإمكانيات جديدة لفكرة الرب، وربما كانت هذه الإمكانات أكثر تطوراً من مفهوم الألوهية التقليدي، وعلي الرغم من ذلك لا تستطيع الوجودية من خلال هذه النظرة حل الغموض النهائي للعالم بالمقارنة مع الفلسفات الآخري[1].

<<انظر:رونالد سترومبرج:تاريخ الفكر الأوروبي، ترجمة:أحمد الشيباني، دار القارئ العربي، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٩٤، ص٧٧٠

صفاء عبد السلام جعفر:ميتافيزيقا الشخصية عند نيقولاي برديائف، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص٢٩>>

(1) جون ماكوري:الوجودية، ص٣٦٠-٣٦٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣- مفهوم العالم في الفكر الوجودي:

ينظر الوجوديون إلي العالم من منظور مختلف، ففي الوقت الذي تركز فيه الفلسفات الأخرى علي العالم باعتباره سماءً وأرضاً وأشجاراً وصخوراً، تُدخل الوجودية العامل الإنساني حتى أنها تري أن كل هذه الأشياء مجتمعة لا يمكن أن تشكل عالماً بمعزل عن الإنسان، ليس ذلك فحسب بل تري أنه ليس هناك موجود إنساني بمعزل عن العالم الذي يوجد فيه[١].

فالإنسان في الفكر الوجودي ليس مجرد موجود طبيعي، ولكنه موجود طبيعي يعلو علي الطبيعة، فهو لا يستخدم الطبيعة إلا لكي يستأنسها، ولا يندمج فيها إلا لكي يتحلل منها، إنه أحياناً يتحداها ليثبت وجوده، وأحياناً ما تكون مصدراً يهدد وجوده[٢].

إذن هناك علاقة جدلية بين الإنسان والعالم :فالإنسان هو الذي ينظم ظواهر العالم، ومن جانب آخر هناك عناصر في العالم تقاوم بعناد وإصرار كل المجهودات التي يبذلها الإنسان لإدراج الأشياء في نظام موحد، وهذا الجدل هو الذي أوجد معني للتساؤل عن "وجود العالم الخارجي".

وقد ارتبط هذا التساؤل بموضوع الألوهية في الفكر الوجودي، فينما نري الجناح الديني من الوجودية تتجلي فيه فكرة الإله الخالق المبدع الذي أعطي للإنسان نفحات من قدرته علي الخلق والإبداع، تظهر هذه النفحات في قدرة الإنسان علي تنظيم هذا العالم والعناية به وبشؤونه [٣]؛ فالإنسان لا يستطيع أن يضفي المعني علي الظواهر إلا لأن هذه الإمكانية معطاة مع الظواهر نفسها.

بينما علي الجانب الآخر الجناح اللاديني الذي يمثله" نيتشه"، "هايدجر"، "سارتر" يبرز الدور الإنساني في العالم، فكل هذه الموجودات كثيفة وصلبة لا ترقي إلي مستوي الوجود، و الإنسان هو من يرفعها و يمنحها القدرة أن تشاركه في وجوده هو.

وفيما يلي سنحاول توضيح رؤية بعض من فلاسفة الوجودية الدينية والوجودية اللادينية للعالم، لنر كيف ساهمت الخلفية الدينية في اختلاف رؤيتهم للعالم.

---

(1) المرجع نفسه، ص١١٥، ١١٤.

(2) زكريا إبراهيم:مشكلة الإنسان، دار مصر للطباعة، القاهرة، د.ت ص :٥٥، ٥٤

(3) Moor, C. E.: “Provocations ,Spiritual Writings of Kierkegaard”, The Bruderhof Foundation. Inc. USA,P:30.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤- العالم بين الدين والميتافيزيقا في الوجودية الدينية:

أ- كيركجور الإنسان و العالم بين الاتصال والانفصال.

يعالج "كيركجور" مشكلة العالم من منظور ديني، فهو كفيلسوف مؤمن يعترف منذ اللحظة الأولي بفكرة الخلق من العدم "Creation out of nothing"، ويري أن هذه القدرة هي إحدي قدرات الله، و بالرغم من ذلك يري أن قدرته الأعظم هي في خلقه لهذا الإنسان حراً[١].

أما عن علاقة الإنسان بهذا العالم فتظهر عند "كيركجور" في أمرين لا ينفصل أحدهما عن الآخر :

الأمر الأول : جانب الاتصال : الجانب الوقائعي في تكوين الذات الإنسانية:

فالذات الإنسانية عند "كيركجور" هي "مركب"" synthesis" من مجموعة من العناصر المتناقضة والمتعارضة كالزماني والأزلي، والجسم والروح، الواقع والمثال، الحرية والضرورة، المتناهي و اللامتناهي[٢].وفي كل هذه الصيغ يعبر الجانب الأول فيه عن الجانب الطبيعي في الإنسان أو الجانب الذي يرتبط به الإنسان بالعالم المادي.

ليس ذلك فحسب بل إن "كيركجور " دائماً يؤكد علي فكرة التوازن بين الجانبين، فطغيان إحداهما علي الآخر يحدث خللاً في الذات الإنسانية.

الأمر الثاني: جانب الانفصال: محاولة الذات الوصول إلي الله

تظهر هذه المحاولة بوضوح في المرحلة الثالثة من مراحل الوجود عند "كيركجور"[*]وهي المرحلة الدينية التي تحاول فيها الذات الاتصال باللا متناهي، ولا

---

(1) Kierkegaard, S. : The Journal of Kierkegaard, P:114.

(2) Evans, C. S.: "Kierkegaard on Faith and the Self", P :85.

(*)يقدم لنا "كيركجور" ثلاثة مدارج أو مراحل للوجود لابد أن تمر بها الذات ومن أجل أن تصبح ذاتاً حقيقية، وهذه المراحل هي المرحلة الجمالية" The Aesthetic"، والمرحلة الأخلاقية" The Ethical"، والمرحلة الدينية" The Religious

أولا: المرحلة الجمالية" The Aethical stage" :وهي المرحلة التي يحيا فيها الفرد من أجل اللحظة " The Moment" التي تتحقق فيها كل رغباته الحسية أو العقلية، وهو في سبيل تلك اللحظة يتجاهل الإلزام الخلقي، وينسي الاهتمامات الدينية، كما أنه في في الوقت يجهد نفسه في الفكر التأملي، حيث يقوم بملاحظة الظواهر التي تتبدي أمامه، بهدف الوصول إلي نظرة موضوعية شاملة، ويشبه "كيركجور" من يعيش في هذه المرحلة بأنهم يعيشون علي سطح الحياة "on the surface of life" ويعتبرهم متفرجين وليسوا مشاركين في الحياة، لأنهم ببساطة ليس لهم حياة حقيقية داخلية أو ذات حقيقية يقدموها للآخرين.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يحدث هذا الاتصال إلا من خلال تمسك الإنسان بما هو أبدي ونسيانه كل ما هو دنيوي فيما يسمي"الاستسلام_Resignation"أو "الموت عن العالم Dying to the world"، و يعلن المرء اعتماده الكامل علي الله، ويتخلي نهائياً عن "أشياء العالم"، وهنا يعترف المرء أنه لا يستمد وجوده من العالم ككل ولا من ذاته الخاصة، بل يستمده من الله، فالله الذي يتميز وجوده عن العالم علي نحو مطلق، هو القوة التي تكون الذات وتدعم وجودها [١].

٥- العالم بين الدين والميتافيزيقا في الوجودية اللادينية:

أ- نيتشه والصراع بين العالم الأرضي والميتافيزيقي:

ترتبط مناقشة "نيتشه" لمشكلة العالم بنقده الموجه إلي الميتافيزيقا التقليدية، ورفضه للتصورات الخاطئة التي قدمتها عن العالم.وقد لخص نيتشه هذه التصورات في جوانب ثلاثة :

أما المرحلة الأخلاقية" The Ethical": هي المرحلة التي تلي المرحلة الجمالية في التقسيم الثلاثي للمرحلة الجمالية، وتعتبر مرحلة انتقالية بين المرحلة الجمالية والمرحلة الدينية، فرجل الأخلاق يحيا في الزمن، ويري الحياة والوجود تحت لواء المسؤولية والواجب، وكلاهما يقتضي الذكري والتكرار، لأن المسؤولية والواجب هما نحو شيء كان أو سيكون، فلابد إذن من أن يكون كل منها حاضراً في ذهن صاحبه علي الدوام، لذلك فالأخلاقي صاحب مسؤوليات وواجبات تجاه المجتمع والدولة، بل والإنسانية كلها، وأقدس هذه الواجبات هو بقاء النوع، ولذلك فهو يقبل علي الزواج.

كما أن الأخلاقي وسطي يأخذ الوسط في كل أموره، لأن الوسط أضمن مقياس لإرضاء كل الأطراف والعناصر المكونة للمجتمع الذي يرتبط به إلي حد بعيد، وهو بذلك الذي يضع القيم الأخلاقية للمجتمع لأنها بهذا المعني هي مقياس المتوسطين من الناس.

أما المرحلة الثالثة فهي المرحلة الدينية "The Religious stage":وتتسم هذه المرحلة باهتمام الذات بتحقيق سعادتها، وذلك من خلال اعتمادها علي المطلق، والهدف الجوهري لهذه المرحلة هو :تحقيق الذات لوجودها الجوهري مع الله، فالرجل الديني أشاح بوجه عن هذه الدنيا، وولي وجه تجاه الأبدية، ولذلك فكل معاييره صادرة عن هذه الحياة الأزلية، لأنه دائما ما يتصور نفسه في حضن الإلوهية.

وتنقسم المرحلة الدينية إلي مرحلتين مثل المرحلة الجمالية هما:

١- مرحلة الديني أ" Religion A" :وتتسم بأنها تفصل بين الله والعالم، فالفشل في التفرقة أو التمييز بين الله والعالم، هذا التمييز الذي يظهر في المرحلة الأخلاقية، يؤدي في هذه المرحلة إلي الفشل في التعرف علي اعتماد الذات اعتماداً مطلقاً علي الله.

٢- مرحلة الديني ب "Religion B"أو المسيحية" Christianity": وهي تمثل النقطة التي يتحقق فيها التوازن داخل الذات، إذ تعبر عن اهتمام الإنسان بتحقيق سعادته الأبدية.

<< انظر:

Kierkegaard, S. : “ Concluding Unscientific Postscript”: P:246

Moor C. E.: “Provocations, Spiritual Writings of Kierkegaard”, P: xx.

إمام عبد الفتاح : " كيركجور" رائد الوجودية، (ج ٢)، مرجع سابق، ص ١٢٨>>

(1)Moor C. E.: “Provocations, Spiritual Writings of Kierkegaard”, P: xxiii.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

× **أولاً: رفض فكرة العلية أو الغائية:**

ينتقد "نيتشه" من البداية فكرة العلية أو الغائية، حيث يري أن التساؤل عن أصل الأشياء وكيفية نشأتها هو أمر لا قيمة له علي الإطلاق، فليس هناك إجابة مرجحة علي الأخرى ؛ فبداية كل شيء كانت اختلالاً يفتقر إلي النظام، وكانت فراغاً واضطراباً، ولا ينبغي أن نهتم في الأشياء إلا بمراحلها المتقدمة وحدها، وإن تمسكنا بالبحث عن العلل والغايات هو محاولة لتنظيم هذا الاضطراب بشكل مقبول، وبعث لإيقاع منظم وسط عالم خال من كل نظام وغائية(١).

إن الطريق المؤدي إلي كشف أصول الأشياء يؤدي دائماً إلي البدائية والهمجية، فالفارق الأساسي بين العقلية البدائية الخرافية والعقلية العلمية هو الاعتقاد بأن هذا الكون يسير بالفعل وفقاً للغايات ؛ فالرجل الباحث الساذج في الحضارات القديمة لم يكن يري إلا شيئين "العلة "و"المعلول"(٢).

إذن فالعقلية الخرافية البدائية هي التي طبعت هذه الصورة علي العالم، إذ جعلته يحتشد بالإلهة والقوي الخفية، وأرجع إليها ظواهره ؛ فظاهرة المطر تحدث بفعل إله المطر الذي ينبغي إرضاؤه، حتى يجود علي الأرض بالغيث، ويمتد هذا التصور حتى يغدو الكون كله مجالاً مكبراً لغايات الإنسان وأمانيه.

كما يري "نيتشه"أن الفكر الديني ساهم في تثبيت وإرساء فكرة العلية والغائية، من خلال ترسيخه لفكرة الإله باعتبارها تمثل الحد النهائي الذي لا تستطيع قدرة الإنسان أن تتعداه، ولكن ما أن نهضت الروح العلمية منذ اللحظة التي نفض فيها العقل عن نفسه هذا الاعتقاد الواهم، ووضع فيها الإنسان لنفسه شعاراً جديداً:إذا لم يكن العالم يسير وفقاً لغاياتي، فلأجعله يسير وفقاً لها بالعمل والجهد، لا بالأسطورة والخيال، وفي هذه اللحظة وحدها نستطيع أن نقول إن العلم الحقيقي قد بدأ: فما العلم إلا محاولة منظمة لتسخير الكون لخدمة الإنسان، والتحكم في الظواهر التي كانت تبدو من قبل مستقلة تماماً عن سيطرته(٣).

---

(1) نيتشه: العلم المرح، ترجمة:سعاد حرب، دار المنتخب العربي للطباعة والنشر، لبنان، ٢٠٠١، فقرة رقم ١٠٩ ص١٠٧.

(2) نيتشه: العلم المرح، فقرة رقم ١١٢ ص١١١.

(3) فؤاد زكريا:نيتشه، ص٨٠، ٧٤، ٥٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

× **ثانياً: رفض فكرة ثنائية العالم**

من أهم الأخطاء التي وقعت فيها الميتافيزيقا التقليدية عند "نيتشه" هي خلقها لعالم آخر مستقل عن عالمنا الأرضي، وهي باستمرار توجه أنظارنا إليه، فتبعدنا عنه، وتصرفنا عن الاهتمام به.

ومن هنا لا يجد الإنسان مفراً من فكرة العالم الآخر التي فرضت عليه من جوانب شتي، فإذا لم يقتنع بذلك العالم الآخر الذي رسمته له الأديان، فسوف يجده في الميتافيزيقا مرة أخري علي صورة أصدق وأدق وأكثر إقناعاً مغلفة بإطار منطقي دقيق.إنه عالم المثل والأفكار، وفيه نقاء وثبات لن تجد لهما في عالمنا نظيراً، فمن منا يستطيع أن يقاوم إغراء الالتجاء إلي مثل ذلك العالم؟ ولا تكتفي الميتافيزيقا التقليدية بخلق هذا العالم، ومحاولة البرهنة علي وجوده؛ بل تؤكد أنه هو "العالم الحقيقي"، أما عالمنا هذا فهو عالم الظواهر فحسب، إن عالمها هو العالم الحقيقي، وعالمنا عالم ظواهر وخداع[١].

وفي مواجهة هذه الأفكار يؤكد "نيتشه" أن فكرة العالم الحقيقي فكرة لم تعد صالحة لشيء. لم تعد تدعو لأي شيء، أصبحت فكرة غير نافعة وغير مجدية.فلا وجود لذلك العالم الميتافيزيقي ولا سبيل إلي القطع به، وأن معرفتنا به معرفة مستحيلة، وكل البراهين التي تقدم لإثباته براهين واهية سرعان ما تنهار إذا ما تعرضت للبحث الدقيق[٢]، وحتى لو سلمنا بوجود هذا العالم الميتافيزيقي، فلن يكون لنا سبيل إلي معرفته، ذلك لأن الطابع المطلق الذي يضفي عليه، والصفات الأزلية التي تنسب إليه، تجعله يعلو علي الأفهام الإنسانية ويتجاوز حدودها، وهكذا يظل العالم الميتافيزيقي بالنسبة للإنسان كأنه لم يكن[٣].

× **ثالثاً: تمجيد العالم الأرضي والحياة فيه:**

يتحدث "نيتشه عن خطورة تصور عالم آخر غير العالم الأرضي فيقول:

"لقد تركنا اليابسة، وصعدنا إلي السفينة ! لقد حطمنا الجسور، وقطعنا الصلة مع اليابسة، والآن أيها المركب الصغير خذ حذرك !فالمحيط يحيط بك: صحيح أنه ينبسط أحياناً كالحرير والذهب.....إلا أنه تأتي ساعات تتحقق فيها أنه لا متناه، وأن لا شيء يخيف أكثر من اللامتناهي".[٤]

---

(1) المرجع نفسه، ص٧٢، ٧١.

(2) نيتشه: أفول الأصنام، ترجمة: حسان بورقيبة ومحمد الناجي، أفريقيا الشرق، الطبعة الأولي، المغرب، ١٩٩٦، ص٣٤.

(3) فؤاد زكريا:نيتشه، ص٧٢، ٧١.

(4) نيتشه: العلم المرح: فقرة رقم١٢٤، ص١١٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن التفرقة بين عالمين ووصف العالم الذي نحيا فيه بتجاربنا الإنسانية المعتادة بأنه هو العالم الأدنى أو عالم الظواهر في مقابل العالم الحقيقي الذي دائماً ما نتطلع إليه دون أن نكون علي يقين من ماهيته أو طبيعته ما هو إلا ضرب من الجنون، ويشبه بمركب صغير تترك اليابس وتبحر في محيط دون أن تدري أبعاده.إن كل هذه الأفكار هي الميراث الثقيل للميتافيزيقية التقليدية.

ولذلك يدعو "نيتشه" إلي التخلص من هذه النظرة من خلال تمجيد هذه الحياة الأرضية، والتغني بالطبيعة والتلقائية، وإضفاء المعني الإنساني لا الإلهي أو الميتافيزيقي علي هذا العالم. إنه يفتح أمامنا سبل التجديد في فهمنا العقلي للعالم، وسلوكنا الفعلي فيه، وذلك حين أكد ومجد قدرتنا الإنسانية علي الخلق والإبداع[١].

ولذلك يتغني "نيتشه" علي لسان "زرادشت" قائلاً: "أناشدكم أيها الأصدقاء أن تظلوا مخلصين للأرض وألا تصدقوا من يحدثكم عن عالم يعلو علي هذه الأرض، ففي أحاديثهم هذه سموم، سواء علموا ذلك أم لم يعلموا"[٢]

ب- "هايدجر" وفكرة "الوجود- في- العالم Being-in-the-world":

يعتبر مفهوم "العالم" مفهوماً أساسياً ومركزياً في فلسفة "هايدجر"، إلا أنه كعادته يعطينا تصوراً وتحليلاً مختلفاً لهذا المفهوم.

فيبدأ موضحاً أن مفهوم العالم هو أحد المفاهيم الأساسية للفلسفة، بالرغم من ذلك لم تلتفت إليه الفلسفة حتى الآن، و انتقد أيضاً تناول الفلاسفة للسؤال عن وجود العالم والبرهنة عليه، فالعالم الخارجي موجود و بشكل واضح ومباشر، ولا وجود للآنية بمعزل عن هذا العالم ؛فالإنسان يحتاج إلي العالم لكي يصبح إنساناً، و الموجود لا يمكن أن يوجد إلا بفضل العالم الذي يرتبط به باستمرار بروابط وثيقة، ومع ذلك فإن هذا العالم نفسه الذي يمكنه من الوجود هو الذي يهدده بانتقاص وجوده أو بحرمانه منه.

إن الآنية تتسم عند "هايدجر" بالوقائعية، ويعني ذلك أنها موجودة دائماً في العالم، وملقي بها فيه، بحيث لا يكون هذا العالم عالماً ما لم أكن أنا موجوداً، ولن يتحقق لي الوجود بدونه، مما يعني أن العالم شبكة من العلاقات أساسها الآنية. إن "الوجود – في – العالم " لحظة في تركيب الآنية، وكل سمات الآنية تفهم من خلال هذه العلاقة الأولية والتركيبية للعالم.

---

(1) فؤاد زكريا:نيتشه، ص٥٢.

(2) نيتشه : هكذا تكلم زرادشت، ترجمة:علي مصباح، منشورات الجمل، بغداد، ٢٠٠٧، ص٤٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه الآن :ما طبيعة العالم عند "هايدجر"؟ يجيب "هايدجر" بأنه من الخطأ النظر إلي العالم من المنظور الطبيعي باعتباره مجموعة من الأشياء الطبيعية، ولا بمعني يدل علي الطبيعة الفيزيائية والفلكية، ولا النظر إليه باعتباره مجموعة من البشر، ولكن الوصف الفينومينولوجي للعالم يشير إلي معني وجود الموجودات -في متناول اليد الموجودة في العالم، ووضعها في صورة مقولات تمكن من عملية الفهم(١).

إن العالم عند "هايدجر" يتكون ليس من أشياء بل من "أدوات Equipments"، ومن جوهر الأداة أنها "شيء ما من أجل....."، ويسمي "هايدجر" نمط وجود الأداة باسم"وجود-ما – في – متناول اليد Readiness-at-hand"، والأداة أو "ما في متناول اليد" تدخل باستمرار في علاقة مع أدوات أخري ؛فكل أداة ترجع إلي أداة غيرها، كما ترجع إلي من يتعامل معها ويستخدمها.

إن طابع وجود الأداة هو وضعها، وهذا الوضع يتعلق في نهاية الأمر بوجود "ما - هو لأجله"الذي يعني "إرادة - من - أجل"، أي يتعلق بعبارة أخري "بالموجود_هناك"الإنساني، وهكذا فإن "الموجود_ هناك" هو شرط إمكان كشف الأداة(٢).

إن كل أداة تدل علي علاقة "من أجل"وتحيل إلي أداة أخري، وإن علاقات الإحالة "دالة" تجعل من وجود الآنية_ في_العالم مدركاً، فالأدوات شبكة ينكشف فيها العالم من خلال الشمول الأنطولوجي لعناصره، وإدراكنا للعالم براجماتي نفعي، كما أن الآنية هي العالم مادامت منظومة الشيء _ الأداة تقوم علي نظام من العلاقات يبدأ بالآنية وينتهي إليها، وتختلف العوالم باختلاف الطريقة التي تري بها الآنية عالمها، ولا يمكن فهم الأداة إلا داخل المركب الذي تؤلف جزءاً منه، والذي يتسع ليشمل كل الأشياء(٣).

ج- سارتر و مشكلة أصل الوجود وطبيعة ظاهرة العالم):

كان سارتر في مستهل كتابه "الوجود والعدم "قد ميز بين نوعين من الوجود : "**الوجود لذاته** Being for itself " أي الإنسان"، و" هو الشعور أو الوعي، منظوراً إليه

---

(1) صفاء عبد السلام جعفر: الوجود الحقيقي عند مارتن هايدجر، منشأة المعارف، الطبعة الأولي، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص١١٣، ١١٢، ١١٠، ١٠٩.

(2) ا.م. بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا : ترجمة عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، سبتمبر ١٩٩٢ العدد رقم ١٦٥، ص٢٧٤.

(3) صفاء عبد السلام جعفر: الوجود الحقيقي عند مارتن هيدجر، ص٤٨٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في ذاته، وكأنه في حالة وحدة وانعزال، وهو انعدام للوجود في ذاتــه، وشــعور بــنقص الوجود، والشوق إلي الوجود، ويناظر ما يسميه "هايدجر" "الموجود" das Seiende"، ويقرب من معني الآنية Dasein".وهو الإنسان بما هو إنسان، أي من حيث إنه يتجــاوز وجود الأشياء والوجود المادي بوجه عــام.وهــو الــذات، أو الذاتيــة "Subjectivity"، ومتضمن في كل معرفة وجود الأشياء.

أما النوع الثاني فهو"**الوجود_في _ذاته** Being_in_itself" أي الشيء، هو الوجود غير الواعي، وهو وجود الأشياء، ووجود العالم، ووجود الظاهرة، ويتصف بأنه ملاء[١].

ويؤكد سارتر في كتابه "الوجود والعدم "أن الوجود الحقيقي هو "الوجود _لذاته"، أما "الوجود _في_ذاته" ما هو إلا خواء وفراغ، وقيمته الوحيدة في أنه يجعل الوجود يظهــر، وقابل لأن يعرف، وغير ذلك لا يوجد مكان لأي موجود آخر أياً كان.

فإذا بحثنا في أصل وجود العالم(الوجود _في _ذاته) وجدنا سارتر يــري أن هــذا العالم "بلا مبرر، وبلا سبب، وبلا ضرورة "، أي لا مبرر له ولا ســبب، ويطلــق علــي الوجود الفعلي الخارجي اسم "المطلق الممكن" فهو مطلق لا بمعني أنــه ضــروري، بــل بمعني أنه لا يمكن استنباطه، وهو ممكن بمعني أنه موجود، ولكن من الممكن ألا يوجــد أيضاً، أي أنه مثل ممكن الوجود عند الفلاسفة الإسلاميين [*]" هو الذي لا ضــرورة فيــه بوجه.أي لا في وجوده، ولا في عدمه".

ويفسر سارتر ذلك الأمر فيقول: "إن الموجود_ في _ذاته " لا يمكن أن يضع نفــسه موضع التساؤل ؛ لأنه موجود كثيف وصلب، ثابت، وليس فيه فجوات، وبدون أي وعــي، أما الموجود _لذاته فهو علي العكس _يمكن أن يضع الأسئلة عن الأصول.

---

(1) : سارتر: :الوجود والعدم، ترجمة :عبد الرحمن بدوي، مقدمة المترجم، ص٥

(*) يقسم الفلاسفة الإسلاميون الوجود إلي نوعين :

١- النوع الأول هو :واجب الوجود" Necessary Being"ويعرفه "الفارابي" بأنه":الموجود الذي متى فرض غير موجود لزم منه محال، ولا علة لوجوده، ولا يجوز كون وجوده بغيره، وهو السبب الأول لوجــود الأشياء، ويلزم أن يكون وجوده وجود أول وجود، وأن ينزه عن جميع أنحاء النقص، وعند "ابن ســينا" واجب الوجود ماهيته هويته، ويعرف "الغزالي" واجب الوجود بأنه "ليس له إلا وجوب الوجود، وليس له ماهية يضاف الوجود إليها، فالوجوب إن زاد علي الوجود فقد جاءت الكثرة".

٢- النوع الثاني هو :ممكن الوجود" contingent Being": وهو الذي متى فرض غير موجود أو موجود لم يعرض عنه محال، أي هو الذي لا ضرورة فيه لا في وجوده، ولا في عدمه.

<< انظر :مراد وهبه: المعجم الفلسفي، مادة" واجب الوجود"، ص٦٧٣.، مــادة" ممكــن الوجــود"، ص ٦٢٢، <<٦٢٢

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بيد أن "الموجود _لذاته" لا يكون إلا لأن هناك موجوداً_ في ذاته، فالموجود _لذاته لاحق علي الموجود في ذاته.الذي هو الموجود الحقيقي، والواقعي والتام، أي أن سارتر ينسب إلي الموجود _في ذاته نوعاً من الأولوية في الوجود، ويدلل علي ذلك حين يتحدث عن الموجود _لذاته_باعتباره شيئاً آخر غير الوجود، ولا يجيء إلي الوجود الفعلي الخارجي إلا إذا كان هناك موجود (وجود في ذاته)، ومن ثم فالوعي نفسه ليس في مقدوره أن يسبب أو يبرر الوجود _في _ذاته، وذلك لأن هذا الوجود الأخير متقدم علي ال"ما هو _لذاته"، وبالتالي فهو بلا سبب ولا مبرر[1].

(1) جان بول سارتر:الوجود والعدم: ص٩٧٧.
وأيضا: محمود رجب: الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين، ص١٤٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخاتمة

والآن بعد إلقاء الضوء علي التفسيرات والرؤى المختلفة لفكرة للعالم عبر تاريخ الفكر الفلسفي يمكننا الآن الإجابة عن السؤال الأساسي الذي يحاول البحث الإجابة عنه: " كيف يمكننا الكشف عن أسباب وجود هذا العالم؟ وكيف تناول الفكر الوجودي هذه القضية؟

انقسم الفكر الإنساني في محاولة الإجابة عن هذا السؤال إلي قسمين:

القسم الأول: كان الفكر الديني مسيطراً عليه محركاً له، وظهر ذلك بوضوح في أكثر من نموذج كانت بدايتها في الحضارات الشرقية القديمة التي ترجع سبب وجود العالم إلى رغبات الآلهة، و إثبات وجودها، وإظهار قدراتها الخلاقة، وصورت مكونات العالم وكأنها تسعى إلى تنفيذ خطط الإله التي رسمها العالم، والى عرض قدرته التنظيمية من أجل هداية المتأملين.

وفي العصور الوسطي تطغي النظرة الدينية للعالم والوجود كله، فقد كان السائد آنذاك أنه ليس في وسع العقل وحده مهما كانت دقة العقل وصحة البرهان أن يصل إلي جميع الحقائق، بل هناك مجموعة من الحقائق لا نصل إليها إلا عن طريق الوحي، وعلي ذلك كانت المسلمات الدينية هي نقطة البداية التي انطلق منها فلاسفة العصر الوسيط عامة، وفي السؤال عن أصل العالم خاصة.وكان الهدف الأساسي لهذه الأفكار هي إثبات التوافق بين المسلمات الدينية والعقلية.

حتى في العصور الحديثة ومع التقدم العلمي ظل الفكر الديني يتسرب داخل النظريات المختلفة لتفسير وجود العالم، وكأن العلم لم يستطع التخلي نهائياً عن التصورات الدينية.

القسم الثاني: كان مرجحاً للعقل، واضعاً إياه في المرتبة الأولي وكانت أولي خطوات هذا الاتجاه خطا بها الفلاسفة الأيونيون اللذين قدموا نموذجاً جديداً لتفسير الطبيعة، وقدموا تفسيرات تقترب إلي الفكر العلمي أكثر من الفكر الخرافي، وبدأ التدرج في هذا الاتجاه ليصل إلي قمته مع "أفلاطون"و"أرسطو"، الذي فسر أصل العالم وكيفية نشأته من خلال فكرة النظام، فحركة الطبيعة تسير وفقاً لنظام وخطة معينة أشبه بعمل الفنان الذي يسير في إنتاجه وفقاً لخطة معينة يتصورها عقله مسبقاً.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما الفكر الوجودي فقد تميز بتقديم رؤية جديدة للعالم ففي الوقت الذي تركز فيه الفلسفات السابقة علي النظر إلي العالم باعتباره سماءً وأرضاً وأشجاراً وصخوراً، تُدخل الوجودية العامل الإنساني حتى أنها تري أن كل هذه الأشياء مجتمعة لا يمكن أن تشكل عالماً بمعزل عن الإنسان، ليس ذلك فحسب بل تري إنه ليس هناك موجود إنساني بمعزل عن العالم الذي يوجد فيه، فالإنسان في الفكر الوجودي ليس مجرد موجود طبيعي، ولكنه موجود طبيعي يعلو علي الطبيعة، فهو لا يستخدم الطبيعة إلا لكي يستأنسها، ولا يندمج فيها إلا لكي يتحلل منها، إنه أحياناً يتحداها ليثبت وجوده، وأحياناً ما تكون مصدراً يهدد وجوده.

وداخل الفكر الوجودي تميزت رؤية الجناح الديني عن الجناح اللاديني، فنري علي سبيل المثال "كيركجور" ممثلاً للجناح الديني يري العالم باعتباره جزءاً لا ينفصل من تكوين الإنسان، ولا يمكن أن نتصور الإنسان بدون الجزء المرتبط بالعالم، ولكنه في الوقت نفسه يري أن تمام سعادة الإنسان بوقوفه أمام الله لا يتم إلا عندما يستطيع الإنسان التخلي عن هذا العالم من أجل الاتحاد بالإله.

أما الجناح اللاديني ويمثله "نيتشه"، "هايدجر" و"سارتر" فيعرضون رؤية مختلفة يتفقون فيها علي ضرورة وجود العالم الطبيعي والعلاقة بينه وبين الوجود الإنساني، فيربط "نيتشه" مناقشة لمشكلة العالم بنقده الموجه إلي الميتافيزيقا التقليدية، ورفضه للتصورات الخاطئة التي قدمتها عن العالم. ولذلك يدعو "نيتشه" إلي التخلص من هذه النظرة من خلال تمجيد هذه الحياة الأرضية، والتغني بالطبيعة والتلقائية، وإضفاء المعني الإنساني – لا الإلهي أو الميتافيزيقي – علي هذا العالم.إنه يفتح أمامنا سبل التجديد في فهمنا العقلي للعالم، وسلوكنا الفعلي فيه، وذلك حين أكد ومجد قدرتنا الإنسانية علي الخلق والإبداع.

أما "هايدجر" فيري أنه من الخطأ النظر إلي العالم من المنظور الطبيعي باعتباره مجموعة من الأشياء الطبيعية، ولا بمعني يدل علي الطبيعة الفيزيائية والفلكية، ولكن العالم عند "هايدجر" يتكون من "أدوات Equipments"، ومن جوهر الأداة أنها " من أجل شيء ما....." ، والأداة أو "ما في متناول اليد" تدخل باستمرار في علاقة مع أدوات أخري؛ فكل أداة ترجع إلي أداة غيرها، كما ترجع إلي من يتعامل معها ويستخدمها.

أما "سارتر" فيؤكد في كتابه "الوجود والعدم " أن الوجود الحقيقي هو "الوجود _لذاته"، أما "الوجود _في_ذاته" أو "العالم الطبيعي" ما هو إلا خواء وفراغ، وقيمته الوحيدة في أنه يجعل الوجود يظهر، وقابل لأن يعرف، وغير ذلك لا يوجد مكان لأي موجود آخر أياً كان.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر الأجنبية :

1. Heidegger, M: The Question Concerning Technology, and Other Essays.Tran.by: Willam Lovitt, Harper & Row, Publishers, Inc 1977.
2. Kierkegaard. S: " Concluding Unscientific Postscript" Trans.by: David F. Swenson, Oxford University, London, 1945.
3. :"The Journal of Kierkegaard" Trans.by: Alexander Dru , First Harper Torch Book ,edition published 1959.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

4. Evans,C.S: Kierkegaard on Faith and the Self, Baylor University Press , Texas, USA ,2006.
5. Mick, C.: Existential Therapies – GBR : sage publication , London ,2003.
6. Moor,C,E.: Provocations ,Spiritual writings of Kierkegaard, The Bruderh of Foundation. Inc.,USA.

ثالثاً:موسوعات وقواميس فلسفية

7. Dagobert D. Runes: The Dictionary of Philosophy, Philosophical Library, Inc. NewYork ,1998.
8. Julia Creswell: The Oxford Dictionary of Word Origin, Oxford University Press,2009.
9. Michelman, Stephen: Historical Dictionary of Existentialism, The Scarecrow Press, Inc, 2008.

رابعاً:المصادر المترجمة إلي العربية:

١٠. سارتر :الوجود والعدم، ترجمة:عبد الرحمن بدوي، منشورات دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٦٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١١. نيتشه: أفول الأصنام، ترجمة: حسان بورقيبة ومحمد الناجي، أفريقيا الشرق، الطبعة الأولي، المغرب، ١٩٩٦.
١٢. : العلم المرح، ترجمة:سعاد حرب، دار المنتخب العربي للطباعة والنشر، لبنان، ٢٠٠١.
١٣. : هكذا تكلم زرادشت، ترجمة:علي مصباح، منشورات الجمل، بغداد، ٢٠٠٧.
١٤. ياسبرز :نهج الفلسفة، ترجمة وتعليق :عادل العوا، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٥.

خامساً: المراجع العربية:

١٥. ا.ا.نيهاردت :الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، ترجمة:هاشم حمادي، الأهالي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولي، دمشق، ١٩٩٤.
١٦. ا.م. بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا : ترجمة عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، العدد رقم، ١٦٥الكويت، سبتمبر ١٩٩٢.
١٧. إمام عبد الفتاح إمام:مدخل إلي الفلسفة، دار الثقافة، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٧.
١٨. : أفكار ومواقف، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ١٩٩٦.
١٩. أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨.
٢٠. أمين سلامة: الأساطير اليونانية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨.
٢١. جاكلين روس:مغامرة الفكر الأوروبي، ترجمة:أمل ديبو، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ٢٠١١.
٢٢. جان بير فرنان:أصول الفكر اليوناني، ترجمة:سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الأولي، بيروت، ١٩٧٨.
٢٣. جون ماكوري: " الوجودية" ترجمة :إمام عبد الفتاح، مراجعة :فؤاد زكريا، دار الثقافة للطبع والنشر، القاهرة ١٩٨٦.
٢٤. رونالد سترومبرج:تاريخ الفكر الأوروبي، ترجمة:أحمد الشيباني، دار القارئ العربي، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٩٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٥. ريجيس جوليفيه: " المذاهب الوجودية من كيركجور إلي سارتر"، ترجمة : فؤاد كامل، مراجعة : محمد عبد الهادي أبو ريدة، الدار المصرية للتـــأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٨٠.
٢٦. زكريا إبراهيم :مشكلة الإنسان، دار مصر للطباعة، القاهرة، د.ت
٢٧. سليمان مظهر: قصة الديانات، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥.
٢٨. صفاء عبد السلام جعفر:محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩.
٢٩. : الوجود الحقيقي عند مارتن هايدجر، منشأة المعارف، الطبعـــة الأولـــي، الإسكندرية، ٢٠٠٠.
٣٠. صفاء عبد السلام جعفر:ميتافيزيقا الشخصية عند نيقولاي برديائف، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ٢٠٠٧.
٣١. عبد الرحمن بدوي:" دراسات فـــي الفلـــسفة الوجوديـــة" ط٣، دار الثقافـــة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٣.
٣٢. :نيتشه، وكالة المطبوعات، الطبعة الخامسة، الكويت، ١٩٧٥.
٣٣. عزيزة عبد المنعم صبحي وآخرون :قراءة للمصطلح الفلـــسفي، مراجعـــة :صفاء عبد السلام جعفر، مصطلح "الميتافيزيقا"، دار كلمة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠١٢.
٣٤. فؤاد زكريا :نيتشه، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٦.
٣٥. محمد جلال شرف :الفلسفة المسيحية بـــين العقـــل والنقـــل، دار المعرفـــة الجامعية، الطبعة الرابعة، الإسكندرية، ١٩٩٤.
٣٦. محمد عبد الرحمن مرحبا: تاريخ الفلسفة اليونانية من بدايتها حتى المرحلـــة الهلينستية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، الطبعة الأولـــي، بيـــروت، ١٩٩٣.
٣٧. محمود رجب: الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين، دار المعـــارف، ط٢، القاهرة، ١٩٨٦.
٣٨. محمود زيدان:كنط وفلسفته النظرية، دار المعـــارف، ط٣، الإســـكندرية، ، ١٩٧٩.
٣٩. هنتر ميد:الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة :فـــؤاد زكريـــا، دار مـــصر للطباعة، ط٣، القاهرة، ١٩٥٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤٠. ولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة:مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤.
٤١. ولتر فيرسرفس:أصول الحضارة الشرقية، ترجمة:رمزي يسي، دار الكرنك للنشر والطباعة، القاهرة، ١٩٦٠.
٤٢. ياروسلاف تشرني :الديانة المصرية القديمة، ترجمة :أحمد قدري، دار الشروق، الطبعة الأولي، القاهرة، ١٩٩٦.
٤٣. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٩
٤٤. : الطبيعة وما بعد الطبيعة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، الطبعة الأولي، القاهرة، ٢١٠٤.

سادساً: الموسوعات الفلسفية العربية:

٤٥. اندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة:خليل احمد خليل، منشورات عويدات، ط٢، بيروت، ٢٠٠١.
٤٦. روني إيلي ألفا:موسوعة أعلام الفلسفة، جزءان، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٢.
٤٧. عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، جزءان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولي، ١٩٨٤.
٤٨. معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، معهد النماء العربي، بيروت، ١٩٨٨.

سابعاً: المعاجم الفلسفية العربية

٤٩. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، جزءان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢.
٥٠. جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، ط٣، دار الطليعة، ، بيروت، ٢٠٠٦.
٥١. مراد وهبة : المعجم الفلسفي، دار قباء للطبع والنشر، ط٥، القاهرة، ٢٠٠٧
٥٢. ميخائيل أنوود: معجم مصطلحات هيجل، ترجمة :أمام عبد الفتاح، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠.
٥٣. المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة للشئون الأميرية، القاهرة ١٩٨٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com